جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات أدبية
تخصص : أدب عربي حديث

إعداد الطالبة:
- بن الشّارف خولة

رؤية التاريخ في رواية " الخلاّن " لأمين الزاوي

لجنة المناقشة:

هنية جوادي	أ. د.	محمد خيضر –بسكرة	مشرفا
صالح مفقودة	أ. د.	محمد خيضر – بسكرة	رئيسا
جمال مباركي	أ. د.	محمد خيضر – بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

قال تعالى :

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العليم الحَكِيم ﴾

[سورة البقرة الآية : 32]

شكر وعرفان

- الشكر لله سبحانه وتعالى أولا وأخيرا ، الذي منّ علينا وأعاننا على إنهاء المذكرة على هذه الصورة .

- نسأل الله أن يتقبل عملنا هذا وأن يجعله في سبيل الحق منارا .

-كما نتقدم بعظيم شكرنا وخالص تقديرنا لأستاذتنا الفاضلة: هنية جوادي على توجيهاتها ومتابعتها لنا خلال مراحل إنجاز البحث .

- كما لا يفوتنا أيضا أن نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في إخراج هذا البحث إلى النور .

مقدمة

تحظى الرواية بين الأجناس الأدبية باهتمام الأدباء والمبدعين، بعدّها عملا إبداعيّا فنيّا يقف شاهدا على الكثير من التحولات التي تعيشها المجتمعات والشعوب، ولعل هذا ما تجسده الرواية الجزائرية المعاصرة التي تعد سجلاّ حافلا لتاريخ المجتمع الجزائري قبل الاستقلال وبعده، يبرز ذلك من خلال إبداعات روائية خطتها أقلام أدباء جزائريين، كالطاهر وطار وابن هدوقة وواسيني الأعرج... وغيرهم . عبّروا من خلالها عن تاريخهم وواقعهم المعيش بكل أزماته وأحداثه.

من هنا كانت الرواية الجزائرية منفتحة على المجال التاريخي، متخذة منه مادة للحكي. حيث يتماهى الفن الروائي بوقائع التاريخ وأحداثه في تركيب تخييلي جمالي.

وقد كان هذا التعالق بين الرواية الجزائرية والتاريخ من أهم الأسباب التي حفّزتنا على اختيار موضوع رؤية التاريخ في الرواية الجزائرية، ونظرا للأهمية التي يكتسيها استثمار التاريخ في روايات الكاتب أمين الزاوي ، بعده رافدا أساسيا ومعينا ثريا يغذّي أعماله الروائية ويربطها ارتباطا وثيقا بمجتمعه وبهويته التاريخية، وقع اختيارنا على موضوع رؤية التاريخ في نص "الخلان " سؤالا إشكاليا نسعى إلى طرحه في بحثنا.

ولأن العودة إلى التاريخ وربط الحاضر بالماضي له دوافع وخلفيات، واستنادا على هذه الأهمية البالغة نجد أنفسنا أمام جملة من التساؤلات و الانشغالات، أبرزها:

– ما طبيعة العلاقة التي تنسجها الرواية مع الخطاب التاريخي؟ وهل التاريخ الذي تكتبه الرواية يُعدّ تاريخا للأحداث ؟

- ما الرؤية التي تصدر عنها الرواية موضوع الدراسة ؟

- كيف قدم الكاتب الشخصيات التاريخية فنيا ؟ وما التقنيات المعتمدة في ذلك؟

- هل وفّق الكاتب في المزج بين المكوّن التاريخي والمكوّن السردي؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج البنيوي، كما استعنا بمناهج أخرى مساعدة كالمنهج التاريخي والسيميائي، في الوقوف على دلالات التاريخ .

هذا وقد اقتضى عنوان الدراسة أن تكون وفق خطة تقوم على : مقدمة و فصلين ؛ خصصنا الفصل الأول للقضايا النظرية ، وقد جاء موسوما بـ :"في مفهوم الرواية والتاريخ " ، تناولنا فيه مفاهيم كل من : الرواية و التاريخ ، كما ناقشنا فيه حضور التاريخ في كل من الرواية العالمية والعربية والجزائرية .

أما الفصل الثاني وخصصناه للجانب التطبيقي، وقد جاء موسوما بـ: "تمظهرات التاريخ في رواية "الخلان" ، وتطرقنا فيه إلى طرق التوليف بين الأحداث التاريخية والرواية من خلال كشف طريقة وأسلوب الكاتب في تعامله مع الشخصيات التاريخية ، كما أبرزنا فيه أهم المفارقات الزمنية التي اعتمدها السارد.

استعنّا في مقاربتنا للموضوع بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

كتاب جيرار جينيت المعنون ب: "خطاب الحكاية "، وكتاب عبد المالك مرتاض المعنون بـ: " في نظرية الأدب " ، و" الرواية وتأويل التاريخ " لفيصل درّاج . ومراجع أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

إضافة إلى بعض الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع التاريخ في الرواية، نجد منها:

" الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة" روايات الطاهر وطار أنموذجا " للباحث عبد الرزاق بن دحمان.

واجهتنا عدة صعوبات ونحن ننجز هذا البحث لكننا استطعنا تجاوزها بفضل الإرادة والرغبة في خوض غمار مثل هذه الموضوعات.

نشكر الله تعالى على كرم توفيقه لنا لإتمام هذا البحث، كما أوجه عظيم شكري وامتناني للأستاذة المشرفة الدكتورة هنية جوادي على ما قدمته لي من نصح وتوجيه.

الفصل الأول : في مفهوم الرواية والتاريخ

1- الرواية وخاصية الانفتاح

2-التأريخ والتاريخ

3- حضور التاريخ في الرواية :

3-1- العالمية

3-2- العربية

3-3- الجزائرية

1- الرواية وخاصية الانفتاح :

تعددت مفاهيم الرواية من الناحية اللغوية و اختلفت ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور بأنّ كلمة رواية مشتقة من الفعل « روى ، قال ابن السكيت : يُقَالُ رَوَيْتُ القوْمَ أَرْوِيهِمْ ، إذا استَقَيْت لهم. وَيُقَالُ: مِنْ أَيْنَ رَيَّتُكم أَي مِنْ أَين تَرْوُون الْمَاءَ؟ وَيُقَالُ رَوَى فُلاَنًا شِعْرًا ، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه .وقال الجواهري رويت الحديث والشعر رواية ، ويقال رويته الشعر ترويه أي حملته على رواية ».[1] وبذلك ينصرف معنى لفظة رواية في اللغة إلى الاستقصاء بالماء والتزودِ به .

أمّا في الاصطلاح فتتّخذ الرواية لنفسها عدّة أوجه ، كونها أكثر الأجناس الأدبية استيعابا للواقع ولمتغيراته ، فهي النثر الفني الذي ينطق من سرد أحداث داخل مجتمع ما بطريقة ما، قوامها الخيال ، وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين . يعرّفها قوته (Goethe Johann Wolfgrya) بقوله :

« الرواية ملحمة ذاتية ، تتيح للمؤلف أن يلتمس من خلالها معالجة الكون بطريقته الخاصة، ولكن يمكن إلقاء سؤال يتجسّد في معرفة ما إذا كان له حقا طريقة ما ؟ وما عدا ذلك ، مجرد فضول » .[2] بما أنّ الرواية ملحمة ذاتية يمكن ربطها بالذات ، أي ذات الكاتب ، لأنّ هذا الأخير يستند الى توظيفه للخيال ، وما يهمّ فيها هو الجانب الشّكلي الخارجي أو الطريقة التي تقدم بها الأحداث .

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، دار الصادر ، ط1 ، بيروت ، 1997 ، ص 280.

[2] - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، عالم المعرفة ، المركز الثقافي العربي ، (د ط) ، الكويت ، 1988 ، ص 13.

ويرى كونستاتين فيدين (konstaten Vidin): بأنّ هذا الجنس الأدبي له خصوصية تميّزه عن غيره ، حيث يقول :

« لا يوجد في الأدب ضرب يستطيع أن يشمل الروح الإنسانية بهذا الشكل اللانهائي من الوجود الإنساني ، وفي هذا الشمول كالرواية » . [1]

وجاء في معجم المصطلحات الأدبية **لفتحي إبراهيم** أنّ الرواية عبارة عن : « سرد قصصي نثري يصّور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد . والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى ، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية ، وما صحبها من تحرّر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية » . [2]

وبالرغم من تعدّد تعريفات الرواية إلاّ أنّ معظمها ، بل جميعها تصبّ في قالب واحد وهي أنهّا ، سردٌ للأحداث أو القصة الخيالية الطويلة التي تضم شخصيات عديدة ، وهي أكثر إنتشارًا وشهرة ، تتميّز بالتشويق والإثارة في مختلف قضاياها فهي :

« نوع من أنواع السرد القصصي تحتوي على العديد من الشخصيات لكلّ منها اختلاجاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصّة ، وتعتبر الرواية من أجمل أنواع الأدب النثري ، وتمثل أيضا النوع الأحدث بين أنواع القصّة الأكثر تطويرًا وتغييرا في الشكل والمضمون بحكم حداثته وصلة بالرواية ».[3]

---

[1] - عبد الرزاق حسين ، فن النثر المتجدد ، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، القاهرة ، 1998 ، ص 83.

[2] - صالح مفقودة ، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ص 6 ، نقلاً عن: فتحي إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، الجمهورية التونسية ، 1986 ، ص 176.

[3] -عمار بن طوبال ، الرواية الجزائرية المعاصرة ومحاولة تحديد منهجي ، مجلة المثقف ، العدد 14 ، ص 2009.

وما جعل مفاهيم الرواية تتعدّد هو انفتاحها على مختلف الأجناس الأدبية وغير الأدبية، وكذا ارتباطها بالحياة وبالواقع الموضوعي ، فهي نصّ لا تتسلّل إليه الشيخوخة أو العجز إنّها: « الجنس الوحيد الذي في صيرورة وغير منجزة أيضا ، الرواية هي وحدها بين الأجناس الأخرى ، وتقاتل من أجل تفوّقها في الأدب ».[1]

ومن الأجناس التي انفتحت عليها الرواية نجد التاريخ .

2-التأريخ والتاريخ :

- **لغة** : جاء في القاموس المحيط لفظة التاريخ على أنّه " أرْخَ الكتاب ،وأَرَّخَهُ : وقَّتَهُ ، والإسم: الأَرْخَةُ بالضّمِ و الأرخُ : الذكرُ من البقر " .[2]

كما جاء في لسان العرب ، أنّ : التأريخ تعريف الوقت ، والتوريخ مثله ، أرّخ الكتاب ليوم كذا : وقّتهُ " .[3]

فالعرب لم تعرف علم التاريخ إلاّ في عهد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، إذ : " إنّ التأريخ الذي يؤرّخه الناس ليس بعربي محض ، وأنّ المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب ، وتأريخ المسلمين أُرّخ من زمن هجرة سيّدنا رسول الله ، (صلى الله عليه وسلّم) ، كُتِب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخًا إلى اليوم ". [4]

---

[1] - فيصل درّاج ، نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2002 ، ص 72.

[2] - الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مادة أرْخَ ، مؤسسة الرسالة ، ط8 ، بيروت ، لبنان ، 2005م ، ص 248.

[3] - ابن منظور ، لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب اللّه وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، (دط)، القاهرة ، مج 1 ، ص 58.

[4] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

وفي العصر الحديث لاقى التأريخ اهتمامًا كبيرًا من طرف الباحثين وحظي بدراسات بالغة الأهمية ، كونه مرآة للأمم ، فهو يعكس ماضيها ، ويترجم حاضرها ، ويعتبر سجلاً لمختلف الوقائع والأحداث التاريخية التي وقعت منذ أن بدأ تدوين تلك الأحداث وكتابتها بغرض الحفاظ عليه والأخذ به .

وهذا ما أكدّه فيصل درّاج في قوله : « تدّل كلمة التاريخ ، وهي يونانية الأصل على استقصاء الإنسان واقعة إنسانية منقضية سعيا إلى التعّرف على أسبابها وآثارها ».[1]

كما أنّ التاريخ في أبسط تعاريفه هو : « حكاية عن الماضي ، أو مجموعة الأحداث التي مضت وانتهت ، لكنّها قابلة للتحوّل والتفسير والتأثير ، وهي أحداث ووقائع تترك بصمتها عامة ، والفعل الإبداعي ، ومنه الأدب خاصة ».[2]

يبحث تاريخ الإنسان على « أحوال الماضين من الأمم في أخلافهم » .[3] فهو العودة إلى الماضي لمعرفة وقائع وأحوال البشر وظواهر حياتهم .

والرواية كجنس أدبي اتّخذت منه مادة لها ، عملت على بلورة أحداثه بصيغة أو بأخرى. إذ تجلّى التاريخ في الرواية العالمية والعربية والجزائرية .

---

[1] - فيصل درّاج ، الرواية وتأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2004 ، ص 81.
[2] - عزيز شكري ماضي ، في نظرية الأدب ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2005 ، ص 145.
[3] - عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، مقدّمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار العرب ، ط1 ، دمشق ، 2004 ، ص 92.

3- حضور التاريخ في الرواية:

3-1- العالمية :

يُقرّ الدارسون بأنّ ولادة الرواية التاريخية الغربية كانت بعد سقوط حملة نابليون في مطلع القرن التاسع عشر على يد الكاتب والتر سكوت في روايته " ويفرلي" عام 1814 م ، وهذا ما أعلن عنه جورج لوكاتش قائلا : « لقد تمّت ولادة القصّة التاريخية ، في مطلع القرن التاسع عشر، وذلك زمن انهيار نابليون تقريبا ».[1]

و قد أدّت الثورة الفرنسية إلى انتشار الفكر الثوري ، وظهور الاتجاه القومي والاعتزاز به في مختلف أنحاء أوروبا إلى زيادة الاهتمام بالتاريخ والاستفادة منه .

« ومن الوجهة التاريخية نجد بأنّ الرواية التي تأخذ من بعض حوادث التاريخ أو شخصياته أساسا لبنائها ، قد نشأت في رحاب الرومانسية لأسباب تاريخية وسياسية ، منها الاعتزاز القومي، وأسباب فلسفية اعتنقها أكثر الرومانسيين ، كالرغبة في الهروب ورفض الواقع المعيش، يأسًا منه أو ثورة عليه ».[2]

إذ تقوم الرواية التاريخية عند والتر سكوت على إحياء مرحلة تاريخية لم يعد لها وجود، وبعثها من جديد من خلال شخصيات تاريخية ذات شهرة وشخصيات يبتكرها الكاتب ، والبطل في أية رواية من رواياته هو دائما سيِّد إنجليزي .

---

[1] - جورج لوكاتش ، الرواية التاريخية ، تر : صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (د ط) ، العراق ، 1986 ، ص 11.

[2] - عبد الله إبراهيم ، السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 1 ، بغداد ، 2013 ، ص 195.

– وقد كتب سكوت سلسلة من القصص التاريخي ومن أشهر رواياته :

" إيفانهو" عام 1819 ، ورواية " الطلسم " عام 1825 ،وقد ازدهرت الروايات التاريخية في أوروبا من عام (1825–1850) حيث نجد كل من ألفرد دوفيني ومانزوني وبعده بلزك وألكسندر دوما في (الفرسان الثلاثة) وغيرهم ..من أكثر المتأثّرين بوالتر سكوت ونهجه.

« من المؤكد أنّ والتر سكوت هو واضع أساس الرواية التاريخية الفنيّة ، ومعظم من جاؤوا بعده اهتدواْ بهديه ، وكانواْ من تلامذته ، وأتباعه ، سواء أدركواْ ذلك أم لم يدركوه ».[1]

3-2- العربية :

إنّ تقديم المادة التاريخية ضمن العمل الروائي وسيلة تعمل على جلب القرّاء ، إذ كان ظهورها في الأدب العربي في بادئ الأمر عن طريق الترجمة والاقتباس ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد نشاطا بالغا من التعريب الروائي .

« فالتأثر المباشر بالرواية الغربية لا يعني أنّ التراث العربي لم يعرف شكلا روائيا خاصًّا به بل بدأت الرواية العربية تتخذ سمة أكثر فنيّة وأعمق أصالة مع بداية الثلاثينات من القرن العشرين على يد مجموعة من الكتّاب المتأثرين بالثقافة الغربية كـ " طه حسين " و " المازني"، و " توفيق الحكيم " » . [2]

[1] - نواف أبو ساري ، الرواية التاريخية (مولدها وأثرها في الوعي القومي العربي العام روّاد وروايات) ، بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، 2003 ، ص 27.

[2]- الهواري عدلي ، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة ، مجلة عود الند ، العدد93 ، 2014 ، ص 1 ، ضمن موقع: http://www.alarabinag.net 12:18 ، 17-04-2020 .

فهذا التأثر لم يتوقف هنا بخاصّة ، أنّه قد ظهر ما للروايات التاريخية من أثر إيجابي في ترويجها للمادة التاريخية وتقريب حوادثها إلى الإفهام ، ولأنّ أكثر القرّاء يملوّن الكتب الجافة المملوءة بالحوادث والأخبار المتشابهة و حشدٍ للمعلومات ، وهذا العرض في كتب التاريخ يُغني القرّاء عنها ، وهذا ما لاحظه جورجي زيدان حين :

« وجد أن الكثيرين لا يصبرون على فهم أسلوب الطبري والمسعودي واليعقوبي ، وابن خلدون وغيرهم من مؤرخي الإسلام فحفّزه ذلك على كتابة رواياته التاريخية ».[1]

ولكوننا نعتبر جورجي زيدان رائدًا لهذا الجنس الأدبي الجديد ، لا ضير علينا الاسترشاد بما كتبه في مقدمة روايته " الحجاج بن يوسف" .[2]

حين يقول : « وقد رأينا بالاختيار أنّ نشر التاريخ عل أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته و الاستزادة منه ، وخصوصا لأنّنا نتوخى جهودنا في أن يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه ، كما فعل بعض كتبة الإفرنج وفيهم من جعل غرضه الأوّل تأليف الرواية ، وإنّما جاء بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة (...) ، وأمّا نحن فالعمدة في رواياتنا على التاريخ وإنّما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين ، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها ، وندمج فيها قصّة غرامية ، تشوّق المطالع إلى استتمام قراءتها فيُصبح

[1]- نواف أبو ساري ، الرواية التاريخية ، ص 133 .
[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أيّ كتاب من كتب التاريخ ».[1]

حاول جورجي زيدان من خلال هذه الأعمال الروائية جعل الفنّ خادمًا للتاريخ ، وغايته في ذلك التثقيف ونقل التاريخ ، فهي وسيلة لتقريب التاريخ ، هذا وقد وردت معظم روايات جورجي زيدان حول التاريخ العربي في العصر الإسلامي الأوّل بدءًا بروايته " المملوك الشارد " 1891 حتى آخر رواية له " شجرة الدرّ " 1914 . [2]

تدور رواية " الحجاج بن يوسف " حول يوسف الثقفي الذي لعب دورًا تاريخيا هامًا في توطيد حكم بني أميّة بعد موت يزيد بن معاوية . فالحادث التاريخي أنّ أحداث هذه الرواية امتدادًا لأحداث رواية " غادة كربلاء" .

تناولت رواية الحجّاج بن يوسف أحداثا حول استمرارية الخلافات السياسية والمؤامرات والفتن التي تلتْ مقتل الخليفة عثمان ، ثم مناوأة معاوية لعليّ واتّهامه بدم عثمان .[3]

في الوقت الذي طالب أهل الكوفة بدم الحسين ، وظهور المختار الثقفي في الكوفة الذي دعا النّاس الى بيعة ابن الزبير فحارب الأمويين ، وبذلك تنازع حول الخلافة ثلاثة : عبد الملك في الشام ومصر ، والمختار في العراق ، وابن الزبيري في الحجاز ، وغضب هذا الأخير على المختار لنقضه بيعته ، فبعث إليه أخاه مصعبًا بن الزبير فحاربه وقتله ، واستولى

[1] - جورجي زيدان ، الحجاج بن يوسف ، المقدمة ، دار الهلال ، (د ط) ، القاهرة ، 1989 ، ص 6.
[2] - عبد الله إبراهيم ، السرديّة العربية الحديثة (تفكيك الاستعمار الاستعماري وإعادة تفسير النشأة) ، ص 203.
[3] - المرجع نفسه ، ص 204.

على العراق . وعاد عبد الملك لمحاربة مصعبا قتله ، وجيشا آخر للحجاز لقتال ابن الزبير فحاصره قائده الحجاج بن يوسف مكة وقصفها بالمنجليق ودخلها عنوة .

فقتل ابن الزبير وصلبه ولكنّ الأمر لم ينته ، إذ بقيت العراق مصدر الاضطربات المقلقة لبني أمية ، فعُيِّن الحجّاج واليا عليها.[1]

بالإضافة إلى الحلقة التاريخية ، تتوفر الرواية على حلقة غرامية ، ربطت سمية ابنة عرفجة وحسن العراقي ، الذي أنقذها ووالدها من موت محقق في العراق أثناء الحرب ضد المختار الثقفي ، وتشردهما الأيام والليالي إلى أن يتم الانتصار لصالح الحجاج بمكة فيتزوّج حسن سمية مع نهاية الحدث التاريخي .[2]

وعليه فالرواية التاريخية بحثت عن الذات القومية المنتصرة ، وبحثت عن حلول للأزمات التي تمرّ بها الأمّة العربية ، وهو ما تجسّده القضايا المعاصرة وما تطرحه الرواية التاريخية.

3-3- الجزائرية:

- تماشت الرواية الجزائرية مع الواقع الوطني و العربي ، إذ عبّرت عن التغيرّات المجتمعية ، والعوامل المساهمة في هذا التغيير ، بخاصة ما هو ثوري أو يطبعه التاريخي .

[1] - ينظر : جورجي زيدان ، الحجاج بن يوسف ، ص 6 .
[2] - ينظر : نواف أبو ساري ، الرواية التاريخية ، ص 117 .

فالمرجعية التاريخية هيمنت على الخطاب الروائي الجزائري مطلع السبعينيات وما تلاها، حيث تزامنت فترة الاستقلال مع نشأة عكست بين طيّاتها أحداث جديدة تصوّر ظروف المرحلة الجديدة .[1]

شكّلت هذه الأوضاع التي عرفتها الجزائر اهتزازًا من حيث الجانب الثقافي ، وعملت على محو وطمس الهوية ، وهي الفترة الفعلية لظهور أعمال أدبية عرَّفت بالقضية الجزائرية ، حيث ولّدت انفجارًا لدى الأدباء والكُتّاب المبدعين ، وعرفت موضوعاتهم تنوّعا في المضامين نتيجة تنوّع الفكر .[2]

جسّدت روايات هذه المرحلة آلام الشّعب ، وعبّرت عن آماله ، فالروائيون الأوائل كانواْ من جيل الثورة والاستقلال ، وتمتعواْ بتجربة حيّة زوّدتهم برصيد مكّنهم من نقل أحداثها ، فهُم كما يقول سعد الله :« رصيد الثورة ، ونضجٌ سياسي وتجربة نضالية ».[3]

وضمن التغيرات التي عقبت الاستقلال ، كتب عبد الحميد بن هدوقة رواية " ريح الجنوب سنة " 1970" ، فترة الحديث عن الثورة الزراعية ، مساندة للخطاب السياسي آنذاك الذّي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري ، ورفع البؤس عن الفلاّح ومناهضة كل أشكال الاستغلال البشري .

---

[1] - ينظر : الهواري عدلي ، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة ، ص 5.

[2] - ينظر : المرجع نفسه ، ص 6.

[3] - حياة لصحف ، جماليات الكتابة الروائية (دراسة تأويلية تفكيكية) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي المعاصر ، إشراف محمد بلقاسم ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2016 م ، ص 3.

وقد برز في روايته « اهتمام اجتماعي واضح ،غير أنّ ميل الكاتب الواقعي جعل الأمر يبدو ثانويًا بالنسبة إلى هذه الغاية الأساسية الأخرى ،وهي غاية وصف القرية وتقاليدها ، ونفسية أهاليها ، ولا سيما النفسية المحافظة ».[1]

فقد تناول في الرواية موضوع الأرض والمرأة ، وما تخلّله من صراعات بين شرائح المجتمع المختلفة داخل تقاليد وأعراف قاهرة تمثّل خصوصية المجتمع.« وقدرة ابن هدوقة في "ريح الجنوب" دفعته إلى طرح قضية التفاوت الطبقي بوضوح أكثر ، ودفعته كذلك إلى الاقتراب من مشاكل ما بعد الاستقلال سواء التي خلّفها الاستعمار ، أم التي رفضتها مرحلة البناء والتحولات ».[2]

وفي رواية " نهاية الأمس " أعاد ابن هدوقة طرح قضية الإقطاعية ومعارضتها للإصلاح. أمّا الطاهر وطّار ، فقد أرّخت أعماله كل التغيرات الطارئة في الجزائر من الثورة إلى الاستقلال، نجده في رواية " اللاز " يعود إلى سنوات الثورة التحريرية ويصوّر مراحلها ، وتلي اللاز رواية " الزلزال " التي جاءت لتُحقق رؤية أيديولوجية في الواقع الاجتماعي والاقتصادي وكحلّ لمخلفات الثورة التحريرية . وعليه فإنّ معظم المضامين سارت تحت أيديولوجية اشتراكية في هاته الفترة .

---

[1]- محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، مصر ، 1983 ، ص 10.

[2]- رحال عبد الواحد ، التجريب في النص الروائي الجزائري ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه ، في الأدب الحديث ، إشراف رايس رشيد ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر ، 2016 ، ص 17.

وكان واقع الثمانينيات مفرزة مرحلة تاريخية ، حيث مثّل هذا الجيل من الكُتّاب اتجاها تجديديًا حديثا في الكتابة الروائية .

فـ « مع بداية الثمانينيات ، ونتيجة التحوّلات الاجتماعية ، والفكرية التي شهدها العالم ، وتقهقر الأنظمة الاشتراكية التي رسخت فكرها و أدبها عبر أنحاء العالم ، بدأت الكتابات تتحرر من رقّة هذا التوجه سواء من قبل كتّاب سبق لهم وأن تأثّرواْ بهذا الاتجاه أو آخرين تمثّلواْ المرحلة الجديدة بكلّ محمولاتها الفكرية والجمالية " [1]

ومن أهم التجارب في هذه الفترة نذكر روايات: واسيني الأعرج في رواية " وقع الأحذية الخشنة " 1981، و " أوجاع رجل غامر صوب البحر " 1983، رواية نوّار اللّوز " 1982.

كما كتب الطّاهر وطار " العشق والموت في الزمن الحراشي"1980" ، ورواية " عرس بغل " 1982، و " تجربة في العشق " 1988، حيث كشف فيها عن السلطة القمعية و سمعتها التي تحكم جزائر الاستقلال، في صياغة جريئة لم تتهيب من المحظور السياسي.

وما يلاحظ على أغلب هذه النصوص هو الاحتفاء بموضوع الثورة و تمجيدها.[2]

أمّا فترة التسعينيات حفلت بالروايات المؤسسة لنص روائي باحث عن تميّز ابداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميّز المرحلة التاريخية والواقع الاجتماعي المعاش.

وما تردّد في روايات التسعينيات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه بين نارين السلطة وجحيم الإرهاب والعنف، الذي كان موضوع الأعمال الروائية في هذه الفترة ، وتطرّقت

[1] - حياة لصحف ، جماليات الكتابة الروائية (دراسة تأويلية تفكيكية) ، ص 15 .
[2] - ينظر: المرجع السابق ، ص 16 .

كذلك لموضوع الأزمة ، الذي تطرّقت فيه لمخّلفات هذه الثورة ، وجعلت من المأساة مدار حديثها ، فالإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع . وخاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال : واسيني الأعرج ، أحلام مستغانمي ، ورشيد بوجدرة.[1]

وعليه فالخطاب الروائي التاريخي في الجزائر هو وليد أفكار سياسية ووطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جلّ التحوّلات السياسية الطارئة على المجتمع في مراحله المختلفة.

فقد صاحب ذلك ثورة في وعي الكتابة الروائية ، والذي تمكّن من إحداث قطيعة إبستمولوجية مع الأبنية القديمة ، مستوعبًا بذلك هموم الإنسان والوطن .

[1] - حياة لصحف ، جماليات الكتابة الروائية (دراسة تأويلية تفكيكية)، ص 17.

الفصل الثاني: تمظهرات التاريخ في رواية " الخلاّن "

1-استدعاء الحدث الروائي التاريخي

2- استدعاء الشخصيات التاريخية

3- آليات استحضار التاريخ

3-1- المفارقة الزمنية

3-2- اللغة التاريخية

1- **استدعاء الحدث الروائي التاريخي :**

حظيت الرواية بمكانة متميزة بين باقي الأنواع الأدبية ، كونها تطرح بطريقتها الفنيّة قضايا المجتمع ، كما تصوّر وقائع التاريخ العام والخاص ، وتنقل أحداثه بطريقتها الخاصة وبأسلوبها الأدبي المتميز .

وقد حاول أمين الزاوي من خلال رواية " الخلاّن" أن يستثمر وقائع وأحداث تاريخية بواسطة هذا الفن السردي الذي يوظف تقنيات متعدِّدة في رفده للمادة التاريخية أي لموضوعات التاريخ ، ويعمد على عناصر بنيته السردية وفي مقدمتها الحدث .

ويُعدّ الحدث من أهم عناصر البناء الروائي « وهو مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبًا سببيًّا ، تدور حول موضوع عام ، وتصوّر الشخصية وتكشف عن أبعادها ، وهي عملاً له معنى ، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى ،,وهي المحور الأساسي الذي تربط به باقي عناصر القصة ارتباطًا وثيقًا ».[1]

وعليه هناك عدّة طرق لعرض الأحداث، فقد يلجأ الروائي لإحداثها وذلك تبعًا لرؤيته وثقافته . ومن ثم فقد اتخذت الرواية أشكالاً وصورًا مختلفة في تعاملها مع التاريخ، تختلف من كاتب لآخر.

لقد عمد " أمين الزاوي " أن يغرس في ذاكرة شخصياته مجموعة من المشاهد والأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر في فترات متباينة من تاريخها الوطني.

[1] - صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي) ، دار مجدلاوي ، ط1، 2006 ، ص 134.

إذ انتقى لنا الروائي بعضًا منها، ليؤكد عمق تأثيرها في الذاكرة الوطنية والعربية من ذلك : « إذا استمرت الإدارة الفرنسية في هذه السياسة العنصرية ، فإنّ أحداثا أكثر عمقا ستجرف البلد ، أحداث أكبر من تلك التي وقعت في 8 مايو 1945 ، فرنسا ستفقد هذا البلد، فخصوم سياستها غير العادلة يتكاثرون يومًا بعد يوم ، من المسلمين واليهود والنصارى ، وستجد نفسها في يوم غير بعيد في حرب همجية تنتهي لا محالة بانفصال هذه المقاطعة عن المتروبول ».[1]

وهي أهم المحطّات التي استرجعها البطل " أفولاي " قبل اندلاع الثورة وقد كان ينظر إليها على أنّها مجرّد لحظات عابرة لفرنسا على أرض هذا البلد .

فالذاكرة كما تقول الناقدة سيزا قاسم : « تُعدّ إحدى التقنيات المستحدثة في الرواية ... والاعتماد عليها يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية ، ويصبغه بصبغة خاصة تعطيه مذاقا عاطفيا ».[2]

تأتي ثورة التحرير في الرواية مدار اهتمام السرد في هذه المدونة من خلال ما نلمسه على لسان الشخصيات المتعدِّدة الهويّة ، التي جمع بينها هدف واحد ، ألا وهو حبّ الوطن وانتصاره.

ويحضر الماضي ، كون الحاضر هو نتاج ما مضى ، متجليًّا في بداية سقوط بلدنا في أيدي القوات الفرنسية نتيجة تخاذل حاكمها في حماية أرض الجزائر وتسليمها للعدّو.

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر العاصمة ، 2019 ، ص27.

[2] - سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، مصر ، 1984، ص 43.

وهو ما عبّر عنه أوغسطين صديق أفولاي بقوله :«... بعد الخلافات السياسية التي وصلت إلى معاهدة العاشر من مايو 1871 ، التي بموجبها تنازلت فرنسا فيها لألمانيا عن منطقتي الألزاس واللورين، ولحل مشكلات كثير من مواطنيها وإسكات احتياجاتهم وإطفاء غضبهم ، وكي تعيد إليهم شهوة الامتلاك وحلم السلطة ولذة العيش المريح ، وجدتْ لهم فرنسا أرضًا بديلة ، فأرسلت هذه الحثالة البشرية الفقيرة لتتقاسم أرض الجزائر ، التي كان قد تم غزوها بجيوش جرارة في شهر يوليوز من العام 1830 ، بعد أن خانها حاكمها التركي الداي حسين الذي سلّم للغزاة مفاتيح مدينة الجزائر ووقّع لهم وثيقة الاستسلام ».[1]

يتعرّض السارد في هذا المقطع للصراعات التي عرفتها الثورة منذ بدايتها والتي أدّت إلى تصفية كثير من رموزها خارج حدود الوطن وتحّوله من أمير وقائد عسكري إلى شخصية مُفرغة ، حيث يسترسل قائلا : « بعد خمسة أيام من اتفاقية الاستسلام ، التي وقّعها كل من الداي حسين والجنرال لويس دو بورمون ، والتي تنصّ على تسليم قلعة حي القصبة وجميع قلاع العاصمة للجيش الفرنسي الغازي ، الذي نزل شاطئ سيدي فرج عدد يفوق أربعة وثلاثين ألف عسكري ، التزمت فرنسا بموجب وثيقة الاسسلام، منح حسين حرية اختيار المكان الذي يُريد الالتجاء إليه ».[2]

تقف عودة السارد لهذه الفترة الزمنية دليلاً على التاريخ الطويل الذي قضته فرنسا في الجزائر ورغبته في كشف أحداثه وإعادة قراءتها بتمعن حتى تتم الاستفادة منها في الحاضر .

[1] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 149.
[2] - المصدر نفسه، ص 149.

ولعلّ أهم المحطات التي استرجعها ليفي زمرمان النقاوة هو الآخر فترة ماضية بقرون، تعود لفترات القديّسين، جاء في قوله :

«... ليفي النقاوة ينزل من عائلة عريقة سكنت المنطقة منذ قرون خَلت، جاءت هذه البلاد كما جاءت كثير من العائلات الموريسكية المسلمة ، لقد وصلت معية الحكيم الحاخام أبراهام النقاوة (1359-1442) رقيد مدينة تلمسان » . [1]

وقوله أيضا: «... تروي كتب التاريخ أنّه جاء من الأندلس على إثر المتباعات والتعذيب والتقتيل التي لحقت بيهود قشتالة، من العلماء ورجال الدين والفلاسفة والتجار الحرفين والفنانين، على إثر هذه الكراهية تعرّض الحكيم النقاوة الحرق حيًّا مع كتبه في الساحة العمومية، وعلى إثر ذلك هرب الابن أبراهام إلى بلاد تامزغا وهي أرض الأمازيغ الشجعان ... ومنها توجه فورًا شرقا إلى مدينة تلمسان» .[2]

يتجلّى بوضوح من خلال المقطعين عودة الروائي إلى زمن بعيد للتذكير بالأمجاد والتاريخ الطويل والعريق ، من هنا «تحسن الإشارة إلى أنّ الإبداع الروائي المتناول للثورة المسلّحة تتجاذبه رؤيتان اثنتان : نزعت أولا هما إلى الاحتفال بالثورة وتمجيد مسيرة كفاحها ، وتقديمها في صورة مشرفة تبعث النخوة و الاعتزاز في جيل ما بعد الاستقلال ، بينما عمدت ثانيتهما إلى نقد مسار الثورة النضالي ، ومحاولة إدانته بالكشف عما ارتكبه الثورة من أخطاء انحرفت بها عن مسارها الصحيح وذلك من خلال إعادة النظر فيما دونته كتب التاريخ

[1] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 133.
[2] - المصدر نفسه، ص 134.

الرسمي».[1] وهو ما تجسّد من خلال تسليم الداي حسين للعاصمة لأيدي الغزاة ، الأمر الذي يتنافى ومسؤولية حماية البلد . على خلاف ذلك نجد الجهود و التضحيات التي قامت بها كلّ شرائح المجتمع باختلاف عقائدها وثقافتها، من أجل حماية هذا الوطن والموت في سبيله ، يقول :

« هوس أخبار الحرب التي في الأفق بدت مقلقة ومعكرة لإيقاع يوميات المدن، الناس لا تفارق مسامعُها نشرات الأخبار...» .[2]

وقوله أيضا : «... أمّا الرجل الثاني واسمه جان بيير لا لوش ، فهو مخرج سينمائي شيوعي، يعمل منذ ستة أشهر على تصوير شريط وثائقي عن ظروف العمال الزراعيين الأهالي، الذين يشتغلون في مستوطنات المعمرين المتخصصة في زراعة أشجار الدالية ، الموجهة لصناعة نوع من النبيذ الراقي اسمه مونيكا (وهو اسم أم القدِّيس سانت أوغسطين العنابي السوق –أهراسي) وموازاة مع ذلك فهو يحضِّر لإصدار كتاب مصّور عن هذه الشغيلة الزراعية ، التي تعاني في صمت وظلم قد يتحّول إلى انفجار اجتماعي ثوري دموي قريبًا ، شبيه بذلك الذي حدث في سطيف وقالمة وخراطة وغيرها قبل بضع سنوات ». [3]

رغم اختلاف الانتماءات بين أبناء البلد الواحد (الشيوعين والماركسيين) وغيرهم ، إلاّ أنّه لم يمنعهم من تحقيق هدفهم الوحيد إلى جانب المسلمين في هذا البلد .

---

[1] - هنية جوادي، التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، مجلة المخبر، العدد9 ، 2013 ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، 2013 ، ص 7.

[2] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 129.

[3] - المصدر نفسه ، ص 128.

إنّ تصرّفات الشخصيات في الرواية ينقل إلينا بصيغة أو بأخرى أحداثا ووقائعا من صلب التاريخ ، سواء كان ذلك قولاً أو فعلاً، لا سيمّا إذا كانت هذه الشخصية من صنع الراوي.[1] من ذلك قوله :

« على الرغم من حب ليفي النقاوة لشعر فيكتو رهيفو ، وإعجابه بأسلوب رواية البؤساء التي قرأها أكثر من مرّة ، فإنّه لم يكن مقتنعًا في داخله بمثل هذه المواقف المنحازة إلى المعتدين الغاصبين للأرض والعباد ، المؤيدة للجلاد ضد الضحية ، كان فيكتور هيغو وهو عضو مجلس الشعب أي البرلمان الفرنسي يقف في المكان الخطأ ». [2]

نجد في هذا المقطع الملازم ليفي النقاوة يكره العدُوّ، مثل هذا التصرّف الذي ينادي بالاعتداء والغصب من طرف أحد كبار الشعراء الذين قرأ لهم مرّات عدّة، وهو ما رفضه في قرارة نفسه بانحيازه نحو معسكره، ومثاله ما تنقله لنا شخصية "أوغسطين" : « أيام بأخبار قلقة».[3]

نلحظ من خلال هذا القول التدرج التصاعدي في سرده للأحداث التاريخية، إذ نقل لنا استمرار الأوضاع وتأزّمها، فالوضع ذاته على الفرد كما هو على المجتمع بأكمله.

وجاء في قوله: « اليوم الأربعاء العاشر من أكتوبر 1956.

للمرة الثانية قرأت البيان الموجه من قبل جبهة التحرير إلى الحاخام الأكبر ليهود الجزائر التالي مرتين، شعرتُ وكأنّ الخطاب موجّه إليّ أنا بالذّات " إن جبهة التحرير الوطني التي تقود الثورة

[1] - ينظر: نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 216.
[2] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 140.
[3] - المصدر نفسه، ص 163.

ضد الاستعمار من أجل التحرير الوطني للجزائر، تقدّر أنّ الوقت قد حان على كلّ جزائري من أصل يهودي، أن يساهم ، بلا غموض ، في هذه المعركة التاريخية الكبرى ... إنّ هذا الخيار .... سيمحو كل سوء فهم "» .[1]

إنّ عملية عكس الأحداث التاريخية على تصرّفات الشخصية آلية عمد إليها الروائي لاستحضار مثل هذا الحدث التاريخي المهم ، من خلال ردّة فعل الملازم بدا واضحًا بعد تلقيه الرسالة ، ولذا فإنّ تصرّفه الذي ينمّ عن عدم الرضى والصراع الداخّلي الناتج عن عمله داخل الثكنة العسكرية الفرنسية وبين انتماءه العرقي الذي يناديه لنصرة بلده والالتحاق بصفوف جيش التحرير في جبال ، ما زاد من عظمة هذه الثورة المباركة وانتشار صيتها بفضل أبناءها ، من ذلك قوله : «... من كلامه يبدو أنه يتابع بدقة واهتمام أخبار الوطنيين الاستقلاليين أمثال الزعيم مصالي الحاج ، للمرة الأولى أستمع إليه وهو يروي بدقة وفخر ما كتبته الجرائد المحلية والباريسية عن عملية الهجوم على البريد المركزي بوهران ، التي نفذها شابان وطنيان : أحمد بن بلة ابن مدينة مغنية (...) وحسين آيت أحمد واستيلائهما على كمية من المال لتغطية أنشطة المنظمة السريّة ».[2]

تستمر الأحداث وصولا إلى ما بعد الاستقلال ، وصولا إلى فترة التسعينيات ، التي حوّلت " أفولاي" من مناضل إلى أحد أطراف المعارضة التي ظهرت في فترة العنف كما سمّاها: « حين دخلت الجزائر في دوامة العنف وجحيم الحرب الأهلية » .[3]

---

[1] - أمين الزّاوي، الخلاّن، ص 227.
[2] - المصدر نفسه، ص 178.
[3] - المصدر نفسه، ص 245.

وتعدّ إحدى الفترات العصيبة التي مرّت بها الجزائر، والتي أدّت لحرب أهلية داخل البلد الواحد وبين أبنائه، الأمرُ ذاته حدث "لأفولاي"، بعد أن كان أحد الثوّار لوطنه، بعد سنوات الاستقلال أصبح من المناضلين القيادين في الحزب الإسلامي الجديد والذي استولى بفضل انتخابات مزورة على بلدية من بلديات وهران .

« وعاد إلى الجبل ليترأس مجموعة " جهنّم "، الأمر الذي أودى به إلى العودة وقتل صديقه من أيام الثورة " أوغسطين "» . [1] فبذلك استطاعت فرنسا زرع العداوة والانشقاق داخل البلد وبين أبنائه وتجسيد صورة أخرى من المعاناة، والالتفات إلى الوضعية المأساوية التي مرّ بها الشعب في هذه الفترة، أين تمكن واستولى الخوف من النفوس، وانقضاء وقت الأمان والاستقرار.

2-استدعاء الشخصيات التاريخية:

تعتبر الشخصية من المشكّلات الأساسية للعمل الروائي، فهي العنصر المحوري والفعّال الذي تدور حوله بقية العناصر الأخرى، إذ يرى عبد المالك مرتاض بأنّ «عالم الشخصية هو عالم واسع متعدِّد بتعدّد الأهواء والمذاهب و الأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود» .[2]

فالاهتمام بدراسة الشخصية تعتمد على براعة الروائي في اختياره لها بدقّة وعناية ليحمِّلها دلالات ومعاني تُعبّر عن رؤاه وأفكاره التي يتمّ تجسيدها في النص الأدبي، والتي

[1] - أمين الزّاوي، الخلّان، ص 245.
[2] - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 73.

تعكس قضايا واقعية بأسلوب فنّي يطرح قضايا متنوعة لتمرير رسائل مختلفة عبر شخصيات لها وجودها وحضورها في التاريخ.

تعجّ رواية " الخلاّن " بالكثير من الشخصيات التاريخية والبعض منها متخيّلة في تطوّر الأحداث: « فالكاتب خلق هذه الشخصيات و أدخلها ليدخل معها نفق الذاكرة ودهاليز التاريخ ممّا يسمح بنبش التاريخ للبحث عن المغيبّ فيه».[1]

من هنا تبرز أهمية هذا العنصر السردي في الرواية، وقد حرص أمين الزاوي على تقديم شخصياته ضمن رؤية خاصّة، تنطلق من الواقع الذي عاشته الجزائر في فترات مختلفة من تاريخها.

وتماشيا مع طبيعة الرواية، فإنّ رواية " الخلاّن" باعتبارها رواية تاريخية توظف نوعين من الشخصيات: «الأوّل: شخصيات تاريخية صرفة عاشت حقا وأثبتها التاريخ على نحوٍ معين، والثاني شخصيات تاريخية متخلية يفترض الروائي أنّها كانت موجودة » .[2]

فالرواية جسدت الرواية الشخصية التاريخية بنوعيها:

2-1- الشخصيات التاريخية الحقيقية:

عرفت الشخصية المرجعية عمومًا والشخصية التاريخية خصوصًا حضورًا قويّا وفعالا داخل النص الروائي، وإنّ توظيف هذه الشخصيات في الرواية «ليس بعملية اعتباطية ، بل هي

[1] - مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، دار الأديب، ط1، وهران، 2005، ص 153.
[2] - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 130.

عملية واعية تسيِّجها قيود و إرغامات منها تنطلق وإليها تعود ، وكلها جمالية تستمدها من جمالة الإبداع الأدبي ».[1]

وانطلاقا من ذلك تعدّدت الشخصيات التاريخية في الرواية، إذ أننا سنذكر بعض الشخصيات التي أثّرت تأثيرًا كبيرًا في سيرورة السرد مثل : شخصية الأمير عبد القادر ، مصالي الحاج ، أحمد بن بلّة ، العربي بن مهيدي ، حسيبة بن بوعلي ، الداي حسين .

إضافة إلى شخصيات تاريخية غربية مثل : كارل ماركس ولينين ، و موريس توريز وإلزاتر يوليه وبول إيلوار وأنجلس وهتلر و فرانكو ، والجنرال دو بورمون و....

وقد كثر هذا النمط من الشخصيات في الرواية، خاصة أنّ الرواية تستعير معظم أحداثها من التاريخ. فما نلاحظه أنّ الشخصيات التاريخية الواردة في النص الروائي والمتمثلة في: شخصية الداي حسين وغريها، تشارك في صناعة الأحداث وتحريكها.

غير أنها تتعامل مع هذه الشخصيات التاريخية تعاملا حذرًا، إذ لا تشركها إشراكا مباشرا بالحدث، بل تستحضر هذا النوع للاستشهاد به، بالتالي جاء توظيفها محدودًا جدًّا في نقل حادثة حول شخصية قادت بلد الجزائر وتولّت حكم القيادة، تجلّى ذلك في قوله :«... فأرسلت هذه الحثالة البشرية الفقيرة لتتقاسم أرض الجزائر ، التي كان قد تمّ غزوها بجيوش جرارة في

[1] - محمد سالمي، جدلية الفني والتاريخي في رواية " كتاب الأمير " مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير في السرديات العربية، إشراف: امحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر ، 2015 ، ص ص 206-207.

شهر يوليو زمن من العام 1830 ، بعد أن خانها حاكمها التركي الداي حسين ، الذي سلّم للغزاة مفاتيح مدينة الجزائر ووقّع وثيقة الاستسلام ».[1]

استعاد الروائي مثل هذا الحدث للتذكير بالمأساة التي قادت فرنسا الى احتلال الجزائر والسيطرة على شعب بأكمله ، إذ أصبح خاضعا للجيش الفرنسي وتابعا له، يعيش تحت وطأته، فالداي حسين غدا شخصية ثانوية في الرواية ، لأنّ الروائي أعطاها دورًا مخالفا لما عُرفتْ به في التاريخ « ومع أنّ كثيرًا من هذه الشخصيات اكتسبت دورًا فاعلاً في التاريخ إلاّ أنّها لم تحظ بالدور نفسه بالعمل الروائي لأنّ القانون هنا يختلف ، فمن كان بطلاً في التاريخ ، قد يغدو شخصا ثانويا في الرواية ، والعكس يصدق في ذلك ».[2]

لقد شاع استخدام هذا النوع من الشخصيات التاريخية بِعدِّها شخصيات ثانوية «تتحرّك وراء الستار مقصاة عن الحدث».[3]

وظّفها أمين الزاوي كإطار في العمل الروائي تُسهم في بناء الأحداث وسيرورتها.

ومقابل هذه الشخصية المعادية لسيرورة التاريخ حسب الراوي تظهر شخصيات تاريخية مثّلت رمزًا للمقاومة والنضال منها ما جاء في قوله عندما يتحدث عن شخصية " هواري سويح" السياسي الذي يتابع « أخبار الوطنيين الاستقلاليين أمثال الزعيم مصالي الحاج ، وهو يروي بدقة و فخر ما كتبه الجرائد المحلية والباريسية عن عملية الهجوم على البريد المركزي بوهران،

---

[1] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 149.
[2] - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 230.
[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التي نفذها شابان وطنيان : أحمد بن بلة ابن مدينة مغنية وحسين آيت أحمد واستيلائهما على كمية من المال لتغطية وتمويل أنشطة المنظمة السرية ». [1]

فحضور هذه الشخصيات كان مجرّد طيف سريع رمزيّ، تمّت الإشارة إليهما وهما شخصيتان ثانويتان ذكرهما مرّة واحدة في نصّه الروائي، مع إعطائهما وجهًا إيجابيًا ساهم في بناء الأحداث والمشاركة في الثورة وبين صفوفها إلى جانب المناضلين الجزائريين.

كما نجد شخصيات تاريخية أخرى –غربية الأصل – ساهمت هي الأخرى في بناء الأحداث عبر مشاهد سردية عابرة الذكر، من مثل قوله:« وقد ظلّ الأسقف لامبير عمدة للمدينة من 1934 حتى عام 1941 ، وكان أوّل من أنشأ تيارًا فاشيا في وهران ، ولم يكن ليخفي إعجابه لفرانكو وموسو ليني وهتلر ، (...) وبحلول الحرب العالمية الثانية وقف الأسقف لامبير في معسكر النازية والفاشية ، ولم يخف إعجابه وحبه لفرانكو وهتلر وبيتان ....» .[2]

وهكذا وظّف مثل هذه الشخصيات وغيرها، التي لها حضورها في التاريخ وفي النص الروائي لضرورة أو لأخرى، وكونها لم تشارك في فعاليات الأحداث بل جاء ذكرها في المشهد لتؤدي إلى حدث تاريخي مثبت ومعادي لمسار تاريخ هذا البلد، بالتالي:

هي شخصية وأحداث متنوّعة ساهمت في الإطاحة بالجزائر، نتيجة لتراكم الأحداث والأسباب، وعليه فالتعامل مع الشخصية التاريخية أخذ شكلاً آخرًا تمثّل في:

[1] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 178.
[2] - المصدر نفسه، ص 114.

2-2- الشخصيات التاريخية المتخيّلة:

إنّ الشخصية المتخيلة في الرواية مكمِّلة لمشروع وضعه الروائي، وأراد إتمامه « فهذه الشخصيات لا تحدّها مرجعية ولا تُقيّدها نصوص التاريخ القديمة فهي ليست وليدتهم ، إنّها وليدة تمازج الأفكار وتبلورها على نحو خاص ».[1]

تعدّ هذه الشخصيات المتخيلة من أساسيات البناء الروائي التاريخي فهي أساسًا وليدة أفكار الروائي ومن صنعه.

من هنا نجد أمين الزاوي وظّف هذه الشخصيات في روايته، من أجل رواية متكاملة البناء ، ونذكر على سبيل التمثيل الشخصيات الرئيسية التي وظّفها الروائي في نصه ، وتعتبر محور الرواية وعمودها . فهي التي تقود الفعل ،وتدفعه إلى الأمام ، وتوصف الشخصية بأنّها رئسيية من خلال ما تقوم به من أدوار ، وتحظى بالتميّز والحضور الطاغي والمكانة المرموقة. حاول الروائي كتابة تاريخ الجزائر المتعدِّد والجزائر المتنوعة ، إذ تدور الرواية حول مصائر ثلاثة أشخاص الأوّل : " أفولاي رشدي " الذي ينتمي إلى الديانة الإسلامية ، والثاني " ليفي نقاوة زمرمان " الذي ينحدر من عائلة يهودية تقيم في مدينة تلمسان ، والثالث " أوغسطين قيران " المجند القادم من أقصى الشمال الفرنسي .

أ- **شخصية أفولاي رشدي** : يعتبر أفولاي راويا لوقائع وأحداث عاشها أيام الثورة وما قبلها ، أثناء تواجده في قريته قبل الإلتحاق بالثكنة العسكرية ، وأحداث أخرى بعد الاستقلال.

[1] - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 233.

تأتي شخصية أفولاي رشدي في مقدمة هذه الشخصيات، التي راحت تسترجع الماضي، وتستعير معظم الأحداث من التاريخ، ويظهر لنا هذا الاسترجاع والعودة إلى الماضي في حديثه عن أوّل يوم له في وهران بعد مغادرته قرية (حب الملوك) ، متّجها إلى الثكنة العسكرية يقول : « قضيتُ الليلة الأولى في وهران ». [1]، ليواصل حكيه عندما دخل الثكنة، واستقبله الملازم في مكتبه « دخلتُ عليه في مكتبه، قادني إليه أحد عسكري الحراسة الذين استقبلوني عند الباب الخارجي» . [2]

وبذلك يستحضر أمين الزاوي هذه الشخصية الساردة المتمثلة في بناء الأحداث وتنظيم سيرورتها، وهي شخصية حرّة تتحرّك بمحض إرادتها لتُعبّر عن الرؤى الفكرية، والقضايا التي حمّلها إياها الكاتب، وتستمر الحياة الداخلية لأفولاي باسترجاع الماضي البعيد والقريب مطبوعا بصور معاناة داخلية ، تعكس درجة انفعال المواطن الجزائري داخل أرضه ، وسط ركام الأزمات المتوالية ، يقول :

« كنت أعتقد دائما، وأنا طفل صغير ، بأنّ والدّي لالة رقية بنت الخلوي وداود رشدي اللذين وُجدت في أحضانهما سيظلان معي إلى الأبد . لم أكن أتوقع يوما أنهما سيتوقفان عند نقطة ما من طريقنا المشترك ...» .[3]

1 - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 65.
2 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
3 - المصدر نفسه ، ص 64.

وقوله أيضا: « التفت من حولي وأنا أكبر وأهوال الحياة تكبر قليلاً قليلاً لأجد أناسًا آخرين كثيرين ، غرباء يشاركونني الطريق ». [1]

تعجّ الرواية بالخطاب الذاتي لشخصية أفولاي التي تستيعد وقائعا من مثل قوله:

« بحثت عن أفولاي فيّ، لم أجدني، ولم أعثر له على بقية ولا عن شيء من " كنزي ". سكنني وجه كروكْ – مورْ زوج خالتي وشدّني حنين إلى رؤيته، وشعرت بخالتي تحتضنني بحنان ونحن نعود من " العرض السينمائي "، كانت تدرك ثقل الصخرة التي بقلبي، طوبة الحزن والخيبة».[2]

ومن الملاحظ أنّ شخصية أفولاي تأتي في مقدمة الشخصيات الروائي، بحيث تهيمن على الذاكرة وأحداث السرد ، كما تطلّ علينا بعوالمها الخاصّة إذ يتشكّل نموّ طامع مع تطوّر السرد من الطفولة إلى الشباب الذي يتوجّه إلى الحياة العسكرية ، إلى المناضل في صفوف الثورة مع أبناء جلدته ، ثم التحاقه بجماعة متشدِّدة ومعارضة سنوات التسعينيات ، كلّ هذه المراحل جاءت عبر استرجاع الشخصية ذاتها لمسيرتها ، يقول :« أنا أفولاي : طفلاً، كنت لا أحب أكل اللفت مطبوخًا ...».[3]

ويضيف قائلاً : « السنوات تمضي بسرعة غريبة ، هذه هي سنتي المدرسية الأخيرة التي أقضيتها عند خالتي ، سنة اجتياز البكالوريا ...».[4]

---

[1] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 64.
[2] - المصدر نفسه، ص 215.
[3] - المصدر نفسه، ص 11.
[4] - المصدر نفسه، ص 40.

ليواصل سرد الأحداث، إلى غاية التحاقه بالثكنة العسكرية: «حين أعلنت المذيعة على أمواج الإذاعة من جهاز راديو يرسل بصوت عال موعد نشرة أخبار السابعة، تركت مقعدي وتوجهت نحو الثكنة راجلاً، فهي لا تبتعد عن هذا المكان إلا ببعض الشوارع ».[1]

وصولاً إلى صفوف الثورة والالتحاق بها هو وأصدقاؤه «أنتبه من حولي فأجد الضباط وضباط الصف وحتى الجنود ينظرون إليّ نظرة خاصة فيها احتقار واستغراب: فوجودي بينهم خطأ...».[2]

تُعدّ الشخصيات التاريخية المتخيّلة من أساسيات البناء الروائي التاريخي فهي « من صنع الأديب ، أي ليست سابقة للأثر ، بل متزامنة معه وناشئة عنه ، لأن علامتها كلّها عند المؤلف ».[3]

وأمين الزاوي استثمر الطابع السيري في طريقة عرضه لشخصياته الناقلة للأحداث في نص الرواية . وهو نلمسه من خلال شخصية:

ب- ليفي النقاوة زمرمان: استطاعت هذه الشخصية أن تعبّر عن وجهة نظر الكاتب، فهي شخصية عسكرية يهودية الأصل ، تحمل صفات إنسانية يؤكدها حبّه لوطنه يقول :« " أنا ابن الأهالي وحفيد الحكيم أبراهام النقاوة ، أنا واقف في المكان الخطأ من التاريخ ، في المعسكر الغلط ، حُشِرتُ مع القوي بحكم مسار تاريخ ظالم».[4] وهي شخصية رئيسية تأتي في المرتبة

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 66.
[2] - المصدر نفسه ، ص 219.
[3] - محمد سالمي ، جدلية الفني والتاريخي في رواية " كتاب الأمير " مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج ، ص 209.
[4] - أمين الزاوي، الخلاّن، ص 139.

الثانية، ممّا يجعلها عنصرًا فعالا في تحريك الأحداث داخل النص السردي ، وتقوم بأدوار رئيسية أثناء تواجدها في الثكنة وعملها إلى جانب الفرنسيين ، وعدم الرضى بعملها هذا لأنّه ابن هذا البلد كما يعتبر نفسه « هوس أخبار الحرب التي في الأفق بدأت مقلقة ومعكرة لإيقاع يوميات المدن ، الناس لا تفارق مسامعها نشرات الأخبار...».[1]

تحيل كل مواقفه إلى أنّها شخصية محبّة للعدل والحريّة ، حيث يقول السارد :« مع ذلك كان ليفي النقاوة زمرمان يشعر بإحساس غريب يراوده ويؤرقه ويقلق وجوده ، فمن جهة هو الإنسان الأهلي حفيد أبراهام النقاوة والمؤمن والمدافع عن الحريّة والعدالة ومن جهة ثانية هو جزء من الآلة العسكرية التي تحمي نظامًا استعماريا استيطانيا قمعيًا... ».[2]

كان يشعر بتناقض داخلي بين عمله من جهة ، وبين أبناء هذا البلد وحقوقهم من جهة ثانية، إلا أن قرّر العودة إلى معسكره ومكانه الحقيقي ، ونستشف هذا في قوله : « بعد تفكير وتمحيص وتأمل دام شهورًا وأمام ما رأيت من تعذيب وحشي لحق بأبناء هذا البلد دون تمييز، هم أبناء بلدي أيضا ، حتى وإن كنا من عقيدتين مختلفتين ». [3]

ليتابع تحرّكاته وخطّته التي بدأها رفقة صديقه المجنّد " أوغسطين " والعسكري " أفولاي، « كان الضابط ليفي النقاوة زمرمان يتكلّم وأنا أتابع حديثه وكأنّما كان يقرأ ما في

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 129.
[2] - المصدر نفسه ، ص 139.
[3] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 206.

صدري، أو يُطّل على أفكاري التي تُعذّبُني ، وأنّه ليس هناك وقت يضيّعانه لتهريب الأهالي وإلحاقهم بصفوف الثورة ».[1]

استمرّ في تخطيطه ونضاله لصالح المعسكر الضعيف، أو معسكر الأهالي إلى أن وصل بيان يوم الأربعاء العاشر أكتوبر 1956 « للمرة الثانية قرأت البيان الموجّه من قبل جبهة التحرير إلى الحاخام الأكبر ليهود الجزائر التالي مرّتين ، شعرت وكأّن الخطاب موجّه إليّ أن بالذات ، كأنّه نداء جدي أبراهام النقاوة إليَّ... ».[2]

فوصوله إلى الثّوار والالتحاق بهم هو مسعاه ومبتغاه إلى أن توفيَّ مستشهدًا في سبيل هذا الوطن وحريّته «جاءنا الخبر كان اليوم باردًا، والخبر صاعقة ، خبر استشهاد ليفي النقاوة زمرمان في واحدة من المعارك التي قادها ضدّ مفرزة من المعسكر الاستعماري ...».[3]

وممّا سبق تجمع هذه الشخصية بين صفات متميزة كحبّ الوطن والدعوة إلى الأخوّة والسّلم والحريّة ، والبعد الإنساني الذي هو أسمى المعاني البشرية المحُبّة لفعل الخير ونُصرة الحق. وهكذا تبرز محبّة الوطن والتعلّق بأراضيه من خلال شخصية أخرى هي:

ج- شخصية" أوغسطين قيران " : لا تقلّ أهميةً عن الشخصيتين السابقتين ، تُجسِّد النموذج الإنساني من خلال محاوراتها وإحساسها بالآخر فهي تمثّل الآخر ، الذي ينحدر من أصل مسيحي القادم من أقصى الشمال الفرنسي ، رغبة منه في الانفتاح على العربيّ المسلم المقابل له ، وقد استقبله الجزائريّ وانفتح عليه بصدر رحب .

---

[1] - ينظر : أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 207.
[2] - المصدر نفسه ، ص 227.
[3] - المصدر نفسه ، ص 232.

لأنّ الإحساس بالعنصرية والجور هو إحساس " أوغسطين "، كما كان إحساس " أفولاي" و " ليفي" النقاوة زمرمان " .

ليجد نفسه هو الآخر أمام واقع مأساوي، وحرب طاحنة أُرغِم على ولوجها ، يتجلّى ذلك في قوله : «... اشتغل في عيادة ، تطل على الساحة العمومية ، ساحة 6 جوان 1944 كلّما نظر إليها كره الحرب ، واستعاد كثيرًا مما رواه له جده ، وما قرأه وما شاهده من أفلام وثائقية عن فداحة الحروب ، وعن الموت القاسي وعن الخراب و الكراهيات التي تخلّفها في النفوس وفي المدن ».[1]

لقد حُمّلتْ هذه الشخصية مرجعية تاريخية ترتبط بتاريخ الجزائر ، محاولاً في كلّ مرة تحسين صورة الجزائر والدفاع عنها ، من ذلك ما جاء في قوله عن نيكول المسيحية زوجة ليفي النقاوة زمرمان ، عندما كان يُحضّر لها بورتريه بأمر زوجها ، يقول : « كلّما تأملت وجه نيكول الملائكي أجدني أقابل وجها من وجوه لوحة بيكاسو " نساء الجزائر" التي لا تزال تفاصيلها عالقة في ذهني ، لست متأكدًا ربّما هي " لوحة الجزائريات في بيوتهن" لأوجين ديلاكروا ؟ ».[2]

ليستعيد من خلال هذه الصورة صورة مشوّهة لنساء هذا البلد من طرف " دي لا كرواْ"، ربما لتحسين هذه النظرة ، أو للإشارة إلى التشويه الذي لحق بتاريخ هذا البلد وبأبنائه ليواصل

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 78.
[2] - المصدر نفسه ، ص 162.

سرده للأحداث حيث يعتمد على الذاكرة الحيّة ، أثناء تواجده في الثكنة صحبة أفولاي ، وساعة الإنذار بأنّ الحرب على وشك الإندلاع ، بخبر من الضابط ليفي النقاوة ، يقول :

« قال لي حتى دون أن ينظر إليّ ، وهو يُسلّمني قرار نقلي إلى ثكنة السانية ، أنت الثقة ، لذا نحن بحاجة إلى خدماتك هناك ، للإشراف على فحوصات الشباب من " الأهالي " الذين يلتحقون بصفوف قواتنا لاستعمالهم كقوة رديفة وكعيون استخباراتية .

– الأهالي ؟ ثم بلعت الكلمة .

– نعم

قالها وقد شعرت به كمن يمتص كتلة مرارة في حلقه هو الآخر ». [1]

يسترجع أحداثا ووقائعًا أيام الثورة ، إلى ما بعد الاستقلال بالتحديد بداية التسعينيات يوم زاره صديقه أفولاي في عيادته .« أفولاي ...أفولاي ...أفولاي " صحت مبتهجًا ، صحتُ ».[2] ليضيف قائلاً : « نظرتُ إليه ، قلتُ هذا المجاهد أفولاي اسمه الحركي السي قادة ، صديق تاريخي ، عشنا معًا سنوات في الثكنة ، كان أول شخص جرّبت معه زيارة " دارالتسامح"».[3] يبدواْ أن السارد قد وظّف في هذه الفترة الزمنية عبر ذاكرة هذه الشخصية ، بصفتها واحدة من المناضلين في صفوف حرب التحرير أيام الثورة ، لينتهي المطاف به إلى الموت على يد صديقه « الذي اختفى وبالضبط منذ أحداث أكتوبر 1988» .[4] ليواصل حديثه :

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 201.
[2] -المصدر نفسه ، ص 238.
[3] - المصدر نفسه ، ص 242.
[4] - ينظر : أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 242 .

«على عتبة العيادة، حين هممت باحتضانه ، دفعني بعنف إلى الداخل فاتحا الطريق لشابين (...) أخرج أحدهما سيفا من تحت معطفه الشتوي الطويل ، حاولت أن أقول شيئًا ، أن أنادي الصديق أفولاي ، لكني لم أتمكن ... المسخ ، المسخ ، المسخ ...

شعرت بنصل السيف فوق رقبتي، وسمعت صوت أفولاي صديقي في النضال يقول: " الله أكبر..الله أكبر، لا مكان للكفار المسحيين في أرض السلام».[1]

يرصد لنا الروائي عبر خطاب هذه الشخصية، مصيرها المأساوي الذي آلت إليه ، بحكم اختلاف عقيدتها. الأمر الذي لم يتقبله " أفولاي ". وبصورة عامة فإنّ الزاوي استطاع أن يصل إلى تبليغ رسالته المتمثلة في الدفاع عن الوطن والانتصار له، وذلك عن طريق شخصيات مختلفة الانتماء ، من خلال تفاعلها مع الأحداث التاريخية في استرجاعها للأحداث وسردها للقرّاء للاطلاّع على التاريخ ، والعودة إليه ، لقراءته وكشف ملابساته وتناقضاته.

3- آليات استحضار التاريخ:

3-1-المفارقة الزمنية :

- استرجاع الماضي التاريخي:

إنّ كل عودة للماضي تشكّل بالنسبة للسرد استذكارًا يحيلنا إلى أحداث سابقة، إذ يرتكز الاستذكار أو الاسترجاع على التجربة الذاتية المتصلة بالإنسان وحالته النفسية خاصّة، فكسرَ زمن القصّ ليفتحه على زمن ماضٍ له « في هذا اللعب يستخدم الرواي تقنيات خاصة ، كأن

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 244.

يجعل الشخصية التي تعيش حاضرًا ما تتذكر حادثا ، أو أمرًا وقع لها في الماضي فتحكي عنه ».[1]

ورواية " الخلاّن" تعتمد على هذا النّوع ، لتعلن صراحة مخالفتها لسير الأحداث ، الأمر المتّصل بالشخصيات الثلاث الساردة للأحداث ، حيث تسترجع كل شخصية أهمّ الأحداث التي سجّلها التاريخ في فترات متباينة من ذلك ما تذكّره " أفولاي رشدي " في قوله :« أفكر في الطفلة ساندرين كلّما وضعت يدي على مقود سيارة الجيب العسكرية خضراء اللون ، لم أستطع أن أنساها يومًا ، صورتها وهي تمدّ لي يدها الصغيرة كي أحتضنها في راحتي كفي الكبيرتين لا تزال موشومة في ذاكرتي البصرية ».[2]

وقد يكون سبب تذكّر أفولاي لمثل هذا الموقف هو رغبته في التعريف بذاته وإبراز طباعه وأخلاقه ، والتذكير ببعض المواقف التي تخصّ ماضيه ، وما عاناه من تمييز كونه عربيّ، وهي ابنه القائد العسكري الفرنسي الذي لا يرضى الاختلاط مع مثل هذه الفئات البربرية، فهي في اعتقاده « كما القرود تنبت لها أذيال طويلة مكان العصعص ». [3]

فاستحضار مثل هذه الصور، تولّد عن الفوارق التي أدخلتها فرنسا بين أبناء هذا البلد وأبناء جلدتها ، ما نتج عنه تمييز عنصريّ ونظرة دونيّة من طرف الاستعمار لأبناء البلد الأصليين.

---

[1] - يمني العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفرابي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، ص 113.
[2] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 72.
[3] - المصدر نفسه، ص 50 .

كما يستعيد " أفولاي " صورة والدته التي كانت تكره سماع كلمة " العسكريّ" وترفض فكرة أن تأكل الحرب كنزها الغالي والوحيد « أتصوّر منظر أمي لالة رقية بنت الخلوي وهي تضرب على فخذيها وتجذب شعر سالفها صارخة : " سيأكل العسكر كنزي الذي لا تعادله كنوز قارون ، ستأكله الحرب الغولة ».[1]

فالحديث عن ماضي الشخصية ، وأيام الطفولة يندرج تحت ما يُسمّى بالاسترجاع الداخلي : « لأنّ الشخصيات التي تحيا أمامنا يُشكّل ماضيها حاضرها ». [2] وهي لا تستطيع التخلي عنه ، إنما تحمله معها أينما ذهبت وحيثما استقرّت .

الأمر نفسه ، عندما يستعيد أيام وحدته في الثكنة ، والعزلة الموحشة التي كان يشعر بها قبل وصول " أوغسطين " « كنت كلّما شعرت بالمهانة والتهميش أفكر في مغادرة الثكنة، لكن قبل أن أقرِّر هجرة الحياة العسكرية أتذكر عبارة والدي داود رشدي بصوته الشجي القريب من البكاء ، وهو يشّدني من كتفي يغرس نظره فيّ ويهزني قائلاً :

"تحريرنا من الاستعمار الفرنسي يبدأ بالقضاء على عملائه من أبناء جلدتنا " فأتحمّل لذلك قساوة الحياة العسكرية بما فيها من عنصرية . أستعيد صورة القايد رمضان الأعوج وهو ينظر إلى أمي نظرة الذئب الجائع، وأتحسس قطعة السلاح إذا ما كانت بين يدي ثم أقرر أن أبقى». [3]

---

[1] - أمين الزّاوي، الخلّان ، ص 62.

[2] - السعيد زعباط ، رواية " كتاب الأمير سالك أبواب الحديد " لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية و المتخيّل الروائي ، رسالة ماجستيرفي الأدب الجزائري المعاصر ، إشراف : عبد السلام صحراوي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2010-2011 ، ص 35.

[3] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 75.

من خلال هذا المقطع السردي المطوّل يتبيّن لنا غيضه الشديد من القايد رمضان الأعوج السبب الي أبقى عليه في الثكنة لوقت أطول .

كما نلمس هذه النوع من الاسترجاع عند النقيب " ليفي النقاوة زمرمان " عندما يتذكر صورة حصانه متأثّرًا لما آل إليه وضعه « دخلتُ على الحصان نظر إليّ ، تأملني ، (...) مكثت هكذا بضع لحظات ، أغمض عينيه قليلاً ثم عاد ففتحهما ونظر إلي بعمق ثانية ، كأنما كان يريد أن ينقش صورة لي أخيرة على لوح ذاكرته » .[1]

" أوغسطين " هو الآخر يستعيد صورًا وذكريات ماضية ، كتذكره لأوّل يوم له في الثكنة ، وأوّل حصة تدريبية يحضرها ، يقول : « وأنا أسمع هذه الأوامر ، استعدتُ صورة جدي وهو يضحك ساخرًا من صورة فرانكو على جريدة لومانيتي ».[2]

وغيرها من الصور والوقائع التي استعادتها الشخصيات الساردة ، إلاّ أنّ هناك نوعا آخر تجلّى في : الاسترجاع الخارجي الذي ورد بصورة مكثفة في الرواية ، يعّرفه جيرار جينيت بأنّه: « ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلّها خارج سعة الحكاية الأولى ».[3]

يظهر هذا النوّع في الرواية في جملة من الأمثلة الدالة عى ذلك : من مثل قول " أفولاي " عن الأوضاع الغير مستقرّة « بعضهم يقول : " لقد بدأت الحرب في الجزائر يوم انتهت في

---

[1] - أمين الزّاوي، ص 121.
[2] - المصدر نفسه ، ص 93.
[3] - جيرار جنيت ، خطا ب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي و عمر الحلى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط2 ، 1997م ، ص 60.

باريس"». [1] إذ حاول البحث عن الفترة الحقيقة لبداية ثورة التحرير وتقصّيها عبر الأخبار والشائعات المتداولة .

وفي سياق آخر يقول مشيرًا إلى صديقه أوغسطين قبل مجيئه إلى الجزائر« اشتغل في عيادة عمومية تطلّ على الساحة العمومية ، 6 جوان 1944 ، وكلما نظر إلى هذه الساحة كره الحرب ، واستعاد كثيرًا ممّا رواه له جدّه ... ».[2]

حاول من خلال هذا الاسترجاع الخارجي إظهار الصورة الحقيقة لفداحة الحرب وتأثيرها على الوضع الداخلي للوطن والفرد ، ومَا نجم عنها من اضطراب وتدهور اجتماعي .

كما يتجلى هذا الاسترجاع من خلال ما أورده أوغسطين عمّا سمعه من " الهواري سويح" الذي كان يتابع باستمرار أوضاع الحرب و أخبار السياسة «... الأمور ليست بخير ، وأحداث 8 ماي 1945 ستعود بشكل آخر وقريبًا جدًّا ، ستكون شاملة وعنيفة ».[3]

إذ يحاول التحذير من حرب دامية على وشك الإندلاع كهذه الأخيرة التي دمّرت المداشر والقرى وقتّلت الآلاف من البشر .

كما يسترجع موقف ليفي النقاوة زمرمان من نفسه، إذ يقول :«أنا ابن الأهالي وحفيد الحكيم أبراهام النقاوة ، أنا واقف في المكان الخطأ من التاريخ ،في المعسكر الغلط ، حُشرتُ

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 79.
[2] - المصدر نفسه ، ص 78.
[3] - المصدر نفسه ، ص 103.

مع القوي بحكم مسار تاريخ ظالم " ، وكان يقصد بذلك مرسوم أدولف كريميو 1870 الذي منح بموجبه اليهود الجزائريون الجنسية الفرنسية بشكل جماعي ....».[1]

يعود الروائي لمثل هذا التاريخ (1870) ليبيَّن لنا طول فترة إقامة فرنسا في الجزائر ، وفضح السياسة التي انتهجتها من قوانين ومراسيم مكّنتها من بسط نفوذها في هذا البلد ، واعتبار الجزائر جزءًا لا يتجزّأ منها ، فهو استرجاع خارجي يقدّم لنا معلومات حقيقية سابقة للرواية .

يقول أيضا :« لقد تم البارحة بسجن بربروس تنفيذ حكم الإعدام بالمقصلة في حق المناضل فرناند إيفتون، لأنّه انحاز إلى صف الثورة والثوار ، انحاز إلى معسكر المظلومين الذين سلبت منهم حرياتهم وبلدهم ».[2]

فاعتماد الروائي على تقنية الاسترجاع من خلال تقطيع الأحداث والعودة إلى عرض الحكايات ، تشبه المشاهد الجزئية من الفيلم ، حيث تبرز الرواية في شكل صورٍ متعددة تجعل المتلقي يكتشف شيئًا فشيئًا معاني النص ، بواسطة هذه التقنية الارتدادية .

فشخصية " إيفتون" اليهودي الجزائري الذي تمَّ إعدامه في نفس السجن وبنفس المقصلة التي أعدم بها أحمد زبانة، لاشتراهما في الدفاع عن قضية واحدة تمثلت في الدفاع عن الوطن الذي جمع بين ديانات مختلفة.

وفي نهاية الرواية يستعيد أوغسطين آخر لقاء له مع صديقه أفولاي « في السنوات الأخيرة، وبالضبط منذ أحداث أكتوبر 1988 ، اختفى المجاهد أفولاي عن الأنضار» .[3]

---

[1] - أمين الزّاوي، ص 139.
[2] - المصدر نفسه ، ص 206.
[3] - المصدر نفسه ، ص 244.

استعاد مثل هذا الحدث للتذكير بالأحداث التي شهدتها الجزائر ، حيث خرج المتظاهرون للشوارع ، حين تدخّلت قوة الجيش لقمع المتظاهرين ، مما خلّف قتلى وجرحى ، وصل عددهم 500 قتيل وآلاف المفقودين ، ويعود سبب هذه المظاهرات إلى الإقصاء والحرمان والتهميش. ليضيف قائلا : « أذكر آخر مرّة التقينا فيها في هذا المقهى ، كان ذلك ليلة الاحتفال بالذكرى الأربعين لثورة أول نوفمبر ، قلت له ونحن نحتسي فنجاني القهوة : " في هذا المقهى كان يجلس ألبير كامو فيها كان يشرب قهوة الصباح ، كان ذلك العام 1942 حين جاء هاربًا من العاصمة خوفًا من النازية وشرطة فيشي التي كانت تطالب برأسه ...» .[1]

ما تجدر الإشارة إليه «أنّ معظم الاسترجاعات كانت عبارة عن حوادث وأشياء ووقائع تتسم بالطابع التاريخي ، كذكر أحداث وقعت أو شخصيات تاريخية وغيرها».[2]

وعليه فالاسترجاع الخارجي التاريخي « إنّما له لمسة شعرية أكسبته طبعًا أدبيا يتجلّى في قدرة الروائي على الجمع بين الداخلي والخارجي ». [3]

فمن خلال ما تقدّم ذكره : لا يمكن اعتبار تقنية الاسترجاع على أنّها تقنية زمنية محضة ، يقف عندها التحليل الزمني ، بل هي إحدى الوسائل التي يتم بواسطتها التعبير عن أبعاد جمالية ودلالية يستهدفها الكاتب .

---

[1] - أمين الزّاوي، الخلّان ، ص 247.

[2] - برقلاح إيمان ، المفارقات الزمنية في " ثلاثية الجزائر" لعبد المالك مرتاض ، مجلّة العلوم الانسانية ، العدد 48، مجلداً، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، ديسمبر 2017 ، ص 06.

[3]- خبشي فاطمة وتحريشي محمد ، انزياح الزمن في رواية " أصابع لوليتا " ، مجلة آفاق علمية ، العدد 13، تمنغست ، الجزائر ، أبريل 2017 ، ص 07.

فالتعبير عن هذه الوقائع والأحداث تمّ سردها بطريقة فنيّة ، منحت النص السردي طابعا جماليا وبُعدًا آخر زاد من قيمتها بواسطة تقنية سردية أخرى تمثّلت في : اللغة الشعرية .

3-2- اللغة التاريخية :

استمرت الرواية الجزائرية هي الأخرى في تغيير شكلها وتقنياتها وطرائق تعبيرها ، لإيجاد لغة تستوعب جميع تغيرات المجتمع ورصد وقائه وأحداثه ، امتزج فيها السرد الروائي الشعري بالتاريخي و العجائبي والمتخيل والعامي ، مع تعددّ اللغات الأجنبية ، وامتزاج الفصحى بالعامية.

فالثورة الجزائرية دعت إلى خلق أدب جزائري يعتني بهموم الإنسان الجزائري المعاصر ، يقول « نظرت إليه قائلاً : " أهلا السي أفولاي ..." ، أيام الثورة ومحنة الجبل كنا نطلق عليه إسم "السي قادة" ».[1]

استطاع الروائي من خلال هذا المقطع أن يعبِّر عن أحداث من خلال لغة فنيّة تلاعب فيها بالألفاظ والعبارات مازجًا إيّاها بالعامية ، ما يجعل منه عملا سرديًا فنّيا له جمالياته ويقول في مقطع آخر : « اللغة هي الطريق السالك إلى الأنثى ، حين ترغب في الوصول إلى قلب امرأة عليك أن تتعلّم لغتها ، (...)وقد تمكّن أبي من إتقان الفرنسية ، خاصّة حين بدأ في مساعدة السيدة إيزيلدا في متابعة الأوراق الإدارية الخاصّة بالمطحنة ،...».[2]

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 10.
[2] - المصدر نفسه ، ص 30.

يتّضح بأنّ والد " أفولاي رشدي " تعلّم هو أيضا لغة الآخر (الفرنسية) من خلال احتكاكه بغير العرب أمثال السيِّدة إيزيلدا غوميز صاحبة المطنة بقرية حب الملوك .

وعليه فالانفتاح على الآخر وعلى ثقافته قضية دعا إليها أمين الزاوي ، وتحدّث عن التنوّع الثقافي طيلة أحداث الرواية ، مُوظِّفًا هذا التنوع في قوله :«... هو صالون الحلاقة الرجالية الشهير والذي يحمل إسمًا شعريا " رقصة المقصّ" (la danse des ciseaux) ، وهو أعرق محل حلاقة بشارع اللاك دوك الشعبي ».[1]

ويقول في مقطع سردي آخر : «... ويطلب ممن بالمحل من الزبائن دقائق صمت لمتابعة الأخبار على موجات الإذاعة الجزائرية بالفرنسية (RTA) ، مسكونًا بالسياسة ، مشعًا كما يبدو من نقاشاته بالأفكار الوطنية القريبة من اليسار... ».[2]

وقد أصبحت الرواية بفعل تنوع سجلاتها اللغوية « ممارسة لغوية رمزية تتداخل فيها مستويات خطابية مختلفة تاريخية حضارية ذهنية ».[3]

إذ تعتمد على توظيف بعض المقاطع السردية بأسلوب غير مباشر ومكثّف ، بخروجه عن المألوف ، من ذلك قول أوغسطين بعد وصوله إلى الأراضي الإفريقية ، وقراءته لرسالة جدّته ، التي يحكي فيها عن والدته:« قرأت رسالة جدّتي التي لم تكن سوى عبارة عن جملتين: " صلّ للعذراء وسامح خطيئة أمك التي أخفت عنك اسم أبيك ، فأنت ابن لأب من تلك القارّة التي تنزل فيها اليوم " .

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 95.
[2] - المصدر نفسه ، ص 102.
[3] - حسين خمري ، فضاء المتخيل ، مقاربات في الرواية ، منشورات الإختلاف ، ط1 ، 2002 م ، ص 191.

فجأة تغيّر شعوري اتجاه المدينة ، وكأنّني جئت إلى هذه المدينة لا لكي أؤدي الخدمة العسكرية ، ولكن للبحث عن أبي الذي جرفته مياه الأزمنة وصمت النساء ».[1]

استعمل الروائي لغة شعرية تتّسم بالرقة والعذوبة ، ففي هذه العبارة " تعتمد لغته على الصّور ، ومن أشكاله التشبيه الذي نجده في النّص ، ففي هذا المقطع شبّه أوغسطين والده بالشيء (العود) الذي تجرفه المياه وذلك لهجرته لابنه وزوجته وتخلّيه عنهما . وفي تشبيه آخر في قوله عن مدينة وهران :

« لا غربة في وهران ، هذه المدينة تحتضن الغريب ، تمنحه ثديها ليرضع حليبها فيصبح في اليوم التالي ابنها ، كل من دخلها تبنّتهُ ».[2]

فشبّه مدينة وهران بالأم التي تحتضن أيّ ابن من أبنائها عند ولادته ، فذكر " وهران " وحذف " الأم " ، ليعطي لمدينة وهران دور الأمومة المتمثّل في الرعاية والعناية بابنها ، فالتشبيه يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدا وجمالاً ، وهو يؤثر في النفس ويُحرّكها .

فتكون الجمالية في التماس شَبه الشيء في غير جنسه وشكله ، ليكون له موقع لدى المتلقي من ناحية التوضيح والتوكيد ونقل المعنى إلى المحسوس ، وهو ما عبّر عنه جان كوهن [*](Jean Cohen) في حديثه عن لغة الشعر.

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 90.

[2] - المصدر نفسه ، ص 95.

* - ينظر : جان كوهن ، بنية اللغة الشعرية ، تر : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 ، المغرب ، 1986.

من هنا نجد أسلوب أمين الزاوي يقوم على منطق العدول عن المألوف وخرقه ، يقول: « وإذا انتشر الخبر العظيم وسرى بين الناس في الأسواق ، خبر وصول الأسقف العالِم المنقذ إلى مدينة وهران ، استبشر الخلق خيرًا ، وبدا الجميع يترقب ساعة الفرج الكبير ، الكل يحلم بذلك اليوم الذي ستجري فيه الحنفيات بالماء الزلال .

" المدينة على بعد خطوتين من الفرج الأزرق ".

" لن نحتسي من اليوم شايا بماء ، مالح"

" لن نحضِّر إبريق قهوتنا بماء مالح من غد " .

" لن نشرب كؤوس الريكا بماء مالح من غد " ».[1]

يتّضح من خلال هذه الأسطر أن لغته العربية الفصحى تتخلّلها اللغة الشعرية أحيانا، والتي تمثّلت على شاكلة مقطوعة شعرية ، تألفت من ألفاظ لغوية في غاية الانسجام والاتساق برزت بأسلوب فني شعري في نسيج محكم البناء ممّا حقّق الكثير من الجمالية . كما نجد في الرواية تقنية سردية أخرى تمثّلت في :

أ- صيغة الوصف والاشتغال على التفاصيل الدقيقة :

يقترن الوصف بالسرد كثيرًا رغم الاختلاف الكبير بينهما ذلك «إننا ونحن نصف إنّما نخبر المتلقي من حيث لا نشعر بأحوال نسردها عليه ».[2]

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 108.
[2] - عبد المالك مرتاض ، نظرية الادب (بحث في تقنيات السرد) ، ص 258.

من مثل قوله: «الحافلة تبلغ الطريق شيئًا فشيًا وبصعوبة تزحف كالسلحفاة في المرتفعات ، والركاب من حولي صامتون ، جميعهم لا أحد يتكلّم ، لا أحد يضحك أو حتى يبتسم ، حيرة على وجوه الجميع ...» .[1]

فسرد حادثة من الحوادث أو وصف شيء ما ، إنّما غرضهما إخبار المتلقي من خلال رصده لمظهر خروجه من بلده متوجّهًا إلى الثكنة العسكرية .« لهذا فهو لا يصف كل شيء ، وإنّما يختار من الأوصاف ما يدعم هدفه ويؤيد فكرته ».[2]

تجلّى ذلك في وصفه للنقيب ليفي النقاوة زمرمان « يبدو النقيب ليفي النقاوة زمرمان في العقد الرابع من عمره ، لكن جسمه النحيف والرياضي وقامته القصيرة تظهره أصغر بكثير من ذلك ، وكأنه شاب تخطَى العشرين بقليل ». [3]

يتّضح من خلال هذين المقطعين أنّ صيغة الوصف لا تتوقف على وصف الأشياء بل تتعدّاها إلى الشخصيات ، إلى الحرب و وتحرّكات الثوّار « محلاّت كثيرة مغلقة ، حي الدرب تملأه وجوه غريبة عابسة من أفراد الشرطة في دوريات متحركة وأخرى ثابتة ، بلباس رسمي أو مدني . الرجل الأسمر صاحب آلة تحميص الفستق الحلبي الذي لا يتكلّم سوى اللغة التارقية وقليلاً من الإسبانية ، هو الآخر اختفى من على الرصيف الذي لطالما ملأه غناء

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 61.
[2] - محمد العيد تاورته ، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 21 ، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر، جوان 2004 ، ص 58.
[3] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 67.

وموسيقى وحركات بهلوانية مثيرة ، آلة التحميص لا تزال مركونة في مكانه على الرصيف مربوطة بسلسلة من حديد وقفل إلى عمود كهربائي عمومي .

مقهى الوداد مغلق ، صاحبه اقتيد البارجة فجرًا إلى جهة لا يعلمها أحد »[1]

هناك ظاهرة جديدة في الرواية وهي أنّ وصف أمين الزاوي للمناظر المختلفة عن الوضع الذي آل إليه حي الدرب ، بدأ يأخذ اتجاهه في طريق الوصف الإيحائي ، أي أنّه لا يتّخذ من قلمه مجرّد آلة تصوير صماء لنقل المنظر كما هو دون إيحاء ، ولكنّه يركّزُ على صور وإيحاءات تساعد في دفع الأحداث وتطوّرها وتأكيدها في ذهن القارىء ، فهو يقول بأنّ هناك حربًا تلوح في الأفق ، لأنّ « أوّل ما يجب مراعاته هو عدم الوصف بغاية الوصف ، ولكن لإضافة شيء يكون مفيدًا للسرد أو لتقوية الجانب الشعري ». [2]

لقد حاول أمين الزاوي أن يهرب من سيطرة المادة التاريخية في الرواية بالإسهاب في وصف المناظر الطبيعية ووصف بداية الثورة وتحرّكات أبنائها ، ليصل إلى يوم التحاق أفولاي و أوغسطين والملازم ليفي النقاوة زمرمان بصفوف الثورة ، يقول :« وصلنا الغابة فجرًا ، وقد بدأت تتراجع العتمة قليلاً قليلاً وتتجلّى تحت ضوء الشفق الأوّل أشجار الغابة و تضاريس المكان ، ما إن مشينا بين الأشجار بعض أمتار حتى وجدنا في استقبالنا أحد قادة الجبهة معية اثنين من مساعديه ».[3]

---

[1] - أمين الزّاوي ، الخلاّن ، ص ص 196-197.

[2] - حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمان – الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، المغرب ، 1990، ص 178.

[3] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 228.

من خلال هذا المقطع المصوّر ، نجد أنّ الروائي استعمل براعته في الوصف حتى كاد القارىء أن ينسى قيمة الشكل الفنّي من كثرة استمتاعه بالمناظر الحيّة التي يكاد يراها بعينيه .

ففي الرواية قدّم أمين الزاوي وصفا دقيقا لإحدى عمليات الهجوم على ثكنة عسكرية يقول: « في تلك الليلة خرجنا في مجموعة من سبعة عناصر ، حاصرنا الهدف بدقة زرعنا على المداخل والمخارج ، ثم أعطيت الإشارة وهاجمنا الهدف المتمثِّل في ضيعة فلاحية تسمى البياضة بالقرب من وادي الملاحة ، كان قد هجّر الكولونيالي سكانها من الأهالي ، واتّخذ منها مقرًّا لقيادة الحدود ».[1]

من هنا تتحوّل الرواية إلى محفّز لإيقاظ الوعي لدى القارىء من خلال تجسيد بعض مظاهر الظلم والتعسّف واغتصاب الأراضي وأملاك المواطنين الجزائريين من طرف المستعمر، الذي طُرد بالقوة ، وعليه « فالرواية لا تبعث التاريخ إلاّ لاستنفار الحاضر واستنهاض قوى التغيير التي تسير به نحو الواقع المأمول ».[2]

فالروائي من خلال وصفه لبعض المشاهد في قالب مغاير ، يهدف لإيصال رسالة للقارىء ، تمثّلت في الرغبة في واقع أجمل ووطن يملؤه الاستقرار والأمان ، تسود الأخوّة بين أبنائه ، من أجل بلد موحّد ، دون تدّخل للآخر، كلّ هذا قدّمه لنا من خلال وصف دقيق موحٍ بكبرياء الجزائريين ورفضهم للذلّ والهوان .

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص ص 230-231.

[2] - طارق غرماوي ، الرواية المغربية (استعارة التاريخ ونقد السلطة) ، مجلّة الخطاب ، العدد1 ، المجلد 13 ، المغرب ، ص 160.

ب- **لغة الحوار :**

يعتبر الحوار من أهم التقنيات في الرواية ، فتتجلّى الأحداث وتتبدّى من خلال حوارات يلتزم فيها الروائي باختيار الكلمات والتعابير المناسبة .إذ نجده يتجلّى في الرواية بنوعيه :

الحوار الداخلي : ينصهر مع أسلوب السرد على المستوى والصياغة ، من خلال قول أفولاي:

« أتصوّر منظر أمّي لالة رقية بنت الخلوي وهي تضرب فخذيها وتجذب شعر سالفها صارخة:

" سيأكل العسكر كنزي الذي لا تعادله كنوز قارون ، ستأكله الحرب الغولة " ».[1]

فما نلحظه في هذا المقطع هو تصوير ذهنية وخيال أفولاي ، وما يشعر به داخليا ، بنزعة تشاؤمية لما سيحلّ بوالدته أثناء بلوغها خبر التحاق ابنها الوحيد بالثكنة العسكرية ، التي طالما كانت ترفض سماع هذه الفكرة .

ليواصل أفولاي سرده الحواري الداخلي ، مستعيدًا صورة والده أيضا في قوله : « الحافلة تتقدم ، ووصية والدي داود رشدي ترن في أذني : تبدأ الحرب ضد فرنسا الاستعمارية أولا من تصفية الخونة من جلدتنا ، والذين انحازواْ إليها والتزموا صفوفها .

وها أنا ذا سأكون بعد ساعات عسكريًّا تحت رايتها "

من الخائن يا ترى ؟

من الخائن ، ألست أنا أيضًا صورة أخرى للقايد رمضان الأعوج ؟

إنه السؤال الذي جعلني أكبر بعشر سنوات في رمشة عين ! ».[2]

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 62.

[2] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

يقوم هذا المقطع السردي على استرجاع حياة عائلة مشتة الشمل، ليرمي بكل فرد منها في مكان دون أمل في اللقاء ، فاللجوء إلى الحوار الخارجي عادة هو نتيجة للضغوطات التي تعرّض لها في هذا المجتمع والصدمات التي عاشها « التفتُ من حولي وأنا أكبر وأهوال الحياة تكبر قليلا قليلاً...».[1] يتّضح لنا تصويره للصعوبات والتحدِّي أمام ما يتعرض كل إنسان سُلبت حريّته وحقوقه في أرضه .

ثم تنزلق الأحداث لتخرج عن السيطرة والواقع الذي رفضه معظم أبناء هذا الوطن لتصرخ معلنة رفضها للوضع بصفة مباشرة وبأسلوب الحوار الخارجي ، يقول :

« دخلتُ عليه في مكتبه ، قادني إليه أحد عسكري الحراسة الذين استقبلوني عند الباب الخاريجي ، مكتب متواضع تتصدّره خارطة كبيرة ملصقة على الجدار إلى يمين الملازم ، رفع عينيه نحوي ، لم يطلب من الجلوس ، دون مقدمات قال لي :

– أنا النقيب ليفي النقاوة زمرمان ، قائد هذه الثكنة .

سكنني خوف من كلمة " الكولونيل " !

– ما اسمك ؟

قلت له :

– اسمي أفولاي رشدي ، كنت أريد أضيف ولكني ترددت " ...وأمي كانت تسميني كنزي ".

قال وهو يتفحص ملفي :

[1]- أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 64.

– من أي مدينة جئت ؟

قلت له :

– من قرية حب – الملوك ، غير بعيد عن مدينة تلمسان ».[1]

فهذا الحوار الذي دار بين أفولاي والملازم ليفي النقاوة زمرمان يُعبّر على مستوى الشخصيات فكريًّا واجتماعيا ، وعن اختلاف مستوياتها ، لأن الرواية كما عبّر عنها ميخائيل باختين (MIKHAIL BAKHTINE) : « تنوع كلامي (وأحيانا لغوي) اجتماعي منظّم فنيًّا وتباين أصوات فردية ».[2]

والحوار هو التقنية التي يتجلّى فيها هذا التعدّد الكلامي ويبرز فيها تعدّد الأصوات ، غير أنّ هذا التعدّد يتم داخل لغة واحدة على الأغلب تمثّلت في اللغة العربية الفصحى .

رغم التنوّع الثقافي داخل الرواية ، في لغة السرد ولغة الوصف والحوار ، جاء في قول الروائي عن المناضل الهواري سويح « يجلس على كرسيه المعهود في الركن المعتاد ، يسحب جريدة الجزائر الجمهورية من تحت إبطه ، يداعي بين يديه كتابًا جديدًا ، يصمت قليلاً ثم يقول وكأنّما حديثة موجّة إليّ وإلى أفولاي أساسا : " من لم يقرأ هذه الكتب لن يفهم الدنيا . " ثم يُعدِّد عناوينها : الرواية القصر لكافكا ، والإخوة كارامازوف لدوستوفسكي ، ورواية الحارس في حقل الشوفان لسالينفر ، ورواية الأم لغوركي ..." ».[3]

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 66.
[2] - ميخائيل باخيّن ، الكلمة في الرواية ، تر : يوسف حلاّق ، منشورات وزارة الثقافة ، ط1 ، دمشق ، 1988 ، ص 11.
[3] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 102.

ليضيف قائلاً: « حين عرفت من خوليو أنّ الهواري يعمل صحفيًّا في جريدة ألجي ريبو بليكان (الجزائر الجمهورية) ، وهو الذي لا يرى إلاّ حاملاً نسخة منها تحت إبطه ، تذكرت جدّي و جريدته لومانيتي ».[1]

ما يعُبّر عنه هذا المقطع هو الانفتاح الثقافي عن الآخر وتقبّله ، من خلال توظيف جزءًا من ثقافته واستحضار بعضًا من مؤلفاته «... كان يعمد إلى العودة قراءة كتابات كارل ماركس عن الهند والجزائر ، باحثا فيها عن بعض التبريرات غير المقنعة التي تحاول أن تظهر الجانب الحضاري للاستعمار. وكان كثيرا ما يعود إلى تصريحات الأديب فيكتور هيغو ... على الرغم من حب ليفي النقاوة لشعر فيكتور هيغو ، وإعجابه بأسلوب رواية البؤساء التي قرأها أكثر من مرة ،...».[2] كما نلمس بعض الأخلاقيات كحب الوطن ، والتسامح ، والتكافل وتجلّي مختلف القيم الإنسانية ، نلاحظ أن الروائي أمين الزاوي ذو ثقافة واسعة .

في استحضاره لبعض المفكرين والمبدعين أمثال : فيكتور هيغو و نيتشه وغيرهما ...وبعض الشخصيات الثورية الوطنية الغربية كـ : لينين وكارل ماركس وأنجلس وموريس طوريز وإلزاتريو ليه وبول إيلوار والساحة الحمراء ... . [3]

---

[1] - أمين الزاوي ، الخلاّن ، ص 104.
[2] - المصدر نفسه ، ص 140.
[3] - ينظر : المصدر نفسه ، ص 82.

وفي الأخير فقد اعتمد الروائي في تصوير الشخصيات وتوظيف الزمان واللغة على طريقة فنيّة مختلفة ، ساعدت في لفت أنظار القرّاء إلى نص رواية الخلاّن ، كما نجح في سرد الأحداث فكانت بنيتها متراكمة ومتلاحمة ، سردًا ووصفًا وحوارًا ، وهي طريقة تعبر عن جدّة وحداثة هذا النمط من السرد .

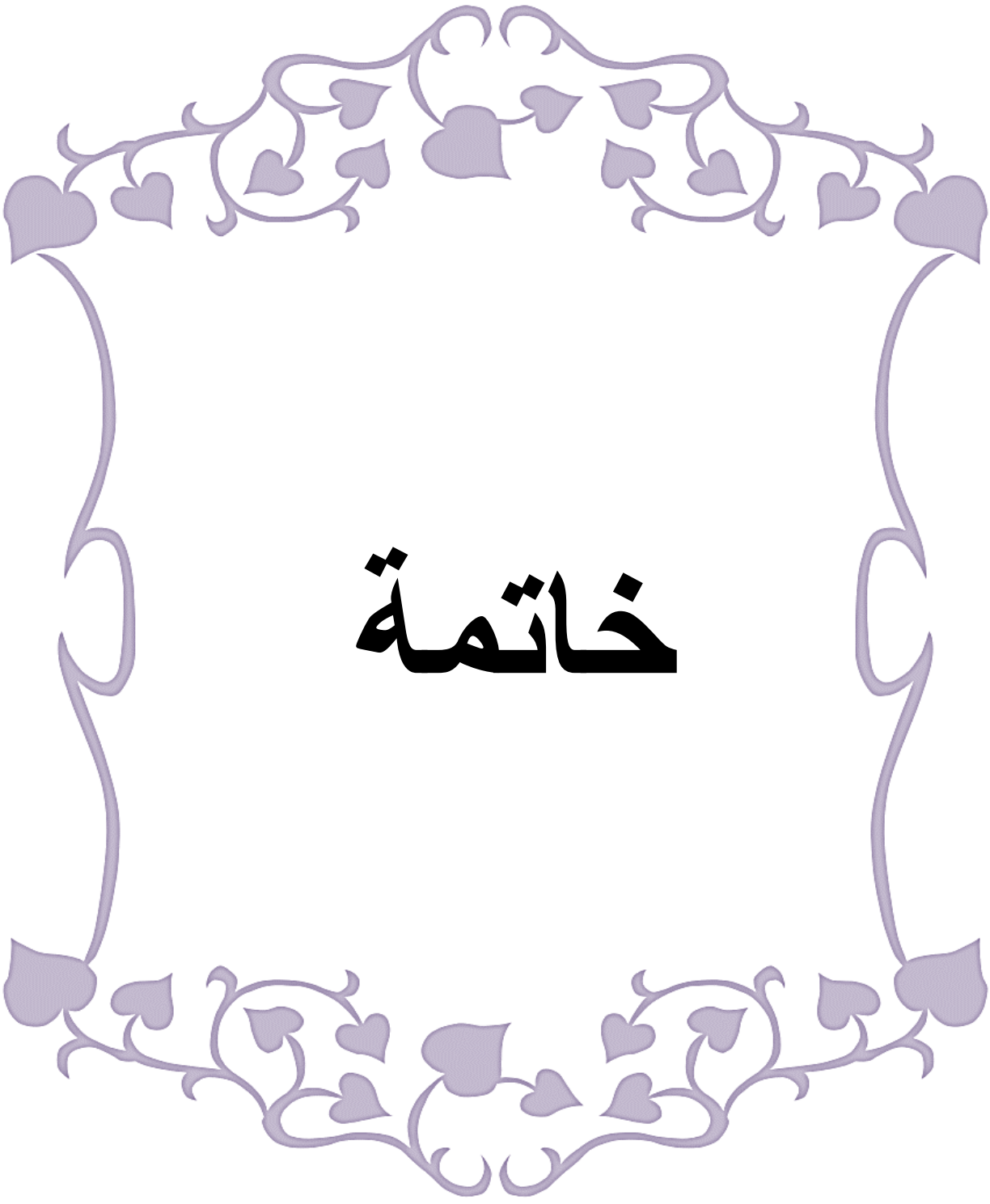

خاتمة

أفضت بنا مقاربة حضور التاريخ وطبيعة رؤيته في رواية "الخلاّن" للكاتب الجزائري "أمين الزاوي "، إلى جملة من النتائج ، نوجزها في النقاط الآتية:

حاول أمين الزاوي خلق تناغم بين التاريخ والعمل الروائي باللجوء إلى طرق وأساليب فنية عديدة ، صهر من خلالها أحداث التاريخ في بوتقة السرد. فالرواية تتصل بالتاريخ، ولكنها في الوقت نفسه تنفصل عنه لتكوّن كيانها الروائي.

استحضر الكاتب الشخصيات التاريخية للتعبير عن تحولات الواقع المعيش وخيباته، كما هو الحال في استحضار شخصية الأمير عبد القادر و أحمد بن بلة، إضافة إلى الشخصيات التاريخية المتخيلة كشخصية أفولاي رشدي و أوغسطين قيران والنقيب ليفي النقاوة زمرمان .

وظفت الرواية التقنيات الزمنية، كون الزمن بنية أساسية في تشكيل النص الروائي، فالرواية كما يقال فن زمني بامتياز، وقد اعتمد السارد تقنية الاسترجاع. إضافة إلى تقنية الحوار بنوعية الداخلي والخارجي، لما تضفيه على النص السردي من جمالية ودلالة.

اعتمد السرد على لغة مركبة متعددة نقلت أحوالا وأحداثا حقيقية في قالب فني، مُزج فيها الفصيح بالعامي والواقعي بالمتخيل، الأمر الذي خلق نصا منفتحا على اللغات والثقافات الأخرى، نوع سجلات الرواية اللغوية.

قدّم السارد رؤية نقدية للواقع التاريخي، انتقد فيها التغييب والإقصاء والقفز على الحقائق التاريخية، وقد استطاعت الرواية أن تقول التاريخ وتنقد سلبياته، من أجل إصلاح الراهن و المستقبل .

وعلية يمكن القول: أن التواشج الفني الذي جمع التاريخ بالرواية، ما هو إلا وسيلة اتّخدها الفن الروائي للوصول إلى واقع المجتمع، حيث كشفت لنا الرواية مدى حرص أمين الزاوي على القضية الوطنية التي كرست الارتباط الوثيق بين العمل الروائي ومعالجة القضايا التاريخية فنيا.

ملحق

أمين الزاوي:

ولد في (25 نوفمبر 1956) بتلمسان هو كاتب ومفكر وروائي جزائري، شغله عالم الأدب والترجمة، بين اللغات الفرنسية والإسبانية والعربية، كما عمل أستاذا للدراسات النقدية في جامعة وهران، بعد حصوله على شهادة الدكتوراه عن «صورة المثقف في رواية المغرب العربي»، وله عشر روايات نصفها باللغة الفرنسية، ونصفها الآخر باللغة العربية، إضافة إلى مجموعتين قصصيتين. مارس التدريس في جامعة باريس الثامنة، عمل سابقا مديرًا للمكتبة الوطنية الجزائرية. في الجزائر العاصمة . يكتب باللغتين العربية والفرنسية .وآخر أعماله المكتوبة بالعربية هو رواية "الملكة" الصادرة عن منشورات الاختلاف بالجزائر.

من أعماله :

-شارع إبليس

-حادي التيوس

- نزهة الخاطر

-السماء الثامنة

-الساق فوق الساق

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

1- المصادر :

2- أمين الزاوي ، الخلاّن ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر العاصمة، 2019 .

32- المراجع :

2-1- المراجع العربية:

1- حسين خمري ، فضاء المتخيل ، مقاربات في الرواية ، منشورات الإختلاف ، ط1 ، 2002 .

2- سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 .

3- صالح مفقودة ، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، دط .

4-صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي ، للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006.

5-عبدالله إبراهيم ، السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بغداد ، 2013 .

6-عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، مقدِّمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار العرب ، ط1 ، دمشق ،2004.

7-عبد الرزاق حسين، فن النثر المتجدد ، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، القاهرة ، 1998 .

8-عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، عالم المعرفة ، المركز الثقافي العربي ، د ط ، الكويت ، 1988 .

9-عزيز شكري ماضي ، في نظرية الأدب ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2005 .

10-فتحي إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، الجمهورية التونسية ، 1986 .

11- فيصل درّاج ، الرواية وتأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2004.

12- فيصل درّاج ، نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2002 .

13- محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، مصر ، 1983 .

14-عامر مخلوف ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، دار الأديب ، ط1 ، الجزائر، 2005 .

15- نواف أبوساري ، الرواية التاريخية (مولدها وأثرها في الوعي القومي العربي العام روّاد وروايات) ، بهاء الدين للنشر والتوزيع ، دط ،الجزائر ، 2003 .

16-يمنى العيد ، تقنيان السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفرابي ، ط1 ، بيروت، لبنان .

2-2- المراجع المترجمة :

1- جان كوهن ، بنية اللغة الشعرية ، تر : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ط1 ، المغرب ، 1986.

2- جورج لوكاتش ، الرواية التاريخية ، تر : صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة، د ط ، العراق ، 1986 .

3- ميخائيل باختين ، الكلمة في الرواية ، تر : يوسف حلاّق ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ، دمشق ، 1988 .

3- المعاجم :

1-ابن منظور، لسان العرب ، دار الصادر ، ط1 ، بيروت ، 1997 .

2-الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مادة أرْخَ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8 ، لبنان ، 2005.

4- الرسائل الجامعية :

1- حياة لصحف ، جماليات الكتابة الروائية (دراسة تأويلية تفكيكية) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي المعاصر ، إشراف محمد بلقاسم ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2016 .

2- رحال عبد الواحد ، التجريب في النص الروائي الجزائري ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، في الأدب الحديث ، إشراف رايس رشيد ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر ، 2016.

3- السعيد زعباط ، رواية " كتاب الأمير سالك أبواب الحديد " لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية و المتخيّل الروائي ، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري المعاصر ، إشراف :عبد السلام صحراوي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2011.

4- محمد سالمي ، جدلية الفني والتاريخي في رواية " كتاب الأمير " مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج ، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2016.

5-المقالات:

1- برقلاح إيمان ، المفارقات الزمنية في " ثلاثية الجزائر" لعبد المالك مرتاض ، مجلّة العلوم الإنسانية ، العدد 48، مجلد أ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، ديسمبر 2017.

2- جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي و عمر الحلى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط2 ، 1997.

3- حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمان – الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،المغرب ، 1990 .

4- خبشي فاطمة وتحريشي محمد ، انزياح الزمن في رواية " أصابع لوليتا " ، مجلة آفاق علمية ، العدد13 ، تمنغست ، الجزائر ، أبريل 2017 .

5- طارق غرماوي ، الرواية المغربية (استعارة التاريخ ونقد السلطة) ، مجلّة الخطاب ، العدد1 ، المجلد 13، المغرب .

6- عمار بن طوبال ، الرواية الجزائرية المعاصرة ومحاولة تحديد منهجي ، مجلة المثقف ، العدد 14 ، 2009.

7- محمد العيد تاورته ، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 21 ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، جوان 2004.

8- هنية جوادي ، (التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج) ، مجلة المخبر ، العدد9 ، 2013 .

9- الهواري عدلي ، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة ، مجلة ثقافية فصلية ، العدد93 ، 2014 ، ضمن موقع: http://www.alarabinag.net ، 12:18 ، 2020-04-17 .

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
بسملة	/
الآية	/
شكر وعرفان	/
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول : في مفهوم الرواية والتاريخ	
1 -الرواية وخاصية الانفتاح	5
2- التأريخ والتاريخ	7
3 -حضور التاريخ في الرواية	9
3-1 - في الرواية العالمية	9
3-2- في الرواية العربية	10
3-3 - في الرواية الجزائرية	13
الفصل الثاني: تمظهرات التاريخ في رواية " الخلاّن"	
1 -استدعاء الحدث الروائي التاريخي	19
2 - استدعاء الشخصيات التاريخية	26
2-1- الشخصيات التاريخية الحقيقية:	27
2-2- الشخصيات التاريخية المتخيّلة:	31
أ- شخصية أفولاي رشدي	31
ب- ليفي النقاوة زمرمان	34
ج- شخصية" أوغسطين قيران	36
3 - آليات استحضار التاريخ	39
3-1- المفارقة الزمنية	39

ملخص البحث:

أ- استرجاع الماضي التاريخي:	39
3-2- اللغة التاريخية	46
أ- صيغة الوصف والاشتغال على التفاصيل الدقيقة :	49
ب- لغة الحوار	53
خاتمة	59
ملحق:	62
قائمة المصادر والمراجع :	64
ملخص البحث :	/

ملخص :

يتناول البحث موضوع " رؤية التاريخ في رواية الخلاّن لأمين الزاوي " . وقد جاء في فصلين ، عنونّا الفصل الأول بـ : " في مفهوم الرواية والتاريخ " ، وفي حين جاء الفصل الثاني معنون بـ : " تمظهرات التاريخ في رواية الخلاّن " . وقد انتهى الى مجموعة من النتائج :

أن العلاقة بين العمل الروائي والتاريخي من الأمور الصعبة ، كونها تستند إلى مرجعيتين مختلفتين ، تحتاج لثقافة واسعة للإلمام بالمادة التاريخية ثم إخراجها في قالب فنيّ، دون الإخلال بصدقها التاريخي .

يُعدّ التظافر النفيّ الذي جمع بين الرواية والتاريخ وسيلة اتّخذها الفن الروائي لمعالجة قضايا المجتمع والوطن .

Summary :

The research deals with the topic of "seeing history in novel Al - khalan by Amin Al- Zawi " . It came in two chapters chapter one entituled us: on the concept of flag and history " while the second chapter came entitled : " The manifestations of history in the novel of Al-Khalan ". He concluded with a set of results :

That the relations ship between fiction and historical - work is difficult as it based on two different references that require a broad culture of familiarity with historical material then direct it in an artistic form.

The artistic convergence that brought together the novel - and history is a method that fictional art has taken to address the issues of society and the nation.